قتلُها سيحُييك
الإشراف العام: إيمان السكارنه

فريق أحفاد المُتنبي

يقدم لكم كتاب: قتلها سيحييك

أحفاد المتنبي

العمل الثّامن

2025

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2025/4/2051)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	قتلُها سيُحييك
تأليف	السكارنه، ايمان خلف عيسى
تأليف (آخرون)	عبيد، آية راتب عبد الفتاح. المشاقبة، ولاء محمد خليف. أبو غنمي، نوره محمد ذيب. يوسف، ضحى نظمي طاهر. أبو شامه، رانيا اسماعيل محمد وآخرون.
بيانات النشر	عمان: دار أروقة الفكر للنشر والتوزيع، 2025
الوصف المادي	128 صفحة.
رقم التصنيف	819.9
الواصفات	/الخواطر الأدبية//الأدب العربي//العصر الحديث/
الطبعة	الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9923-50-479-6 (ردمك)

الحقوق محفوظة ويُمنع طبع أو تصوير الكتاب أو إعادة نشره بأي وسيلة إلا بإذن خطي من المؤلف وكل من يخالف ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

الطّبعة الأولى 2025

المحتوى

الإهداء ..... إيمان السكارنه

المُقدمة ..... إيمان السكارنه

بيني وبيني مدًى سحيق ..... إيمان السكارنه

الهلاك المحرِّر ..... ربى حسين الزيود

رحلة الخلاص ..... ولاء محمد المشاقبة

بين فقد وحياة ..... تبارك منهل

الخوف من النجاح ..... لينا محمد الزيتاوي

أموت لكي تحيا أنت ..... مروة خالد موسى

من الظّلامِ إلى النّورِ ..... بيان محمد حسن

لا تَخف ..... سلسبيل حمدان

عدوك الدّاخلي يحتاج إلى نور المواجهة .. رانيا حسن نصيرات

نبضة أمل ..... آية راتب عبيد

رسالة من مجهول ..... ختام القيسي

تدور وندور ..... نوره أبو غنمي
غزة.. حين بُعثت من الرماد ..... ساجدة محمد العزام
لا تدري ..... ضحى نظمي عزام
قمرٌ بائس ..... راما اسماعيل أبو شامة
الخاتمة ..... إيمان السكارنه

شكرٌ خاص

الشّكر الجزيل لفريقِ أحفاد المُتنبي
وكادر العمل ولكُلِّ من ساهم
في إخراجِ هذا الكتاب
بأبهى صورةٍ
مُمكنة.

الإهداء

إلى **<u>الإيمان</u>** الّذي يُجمّل لي الأشياء ويُقلني من موضعِ تّيه، من ضلالة.. حتى سُبل الوصول! إلى كُلِّ **<u>آيةٍ</u>** ترشدني للطّريقِ **<u>ونورهِ</u>**، بهذا **<u>الولاء ببيانٍ</u>** هولِنا وظهورِه حاصرنا شتاتِنا ولملمناه، في لُبِّ كُلِّ هذهِ العواصف كانَ لليّنِ معنًى للبقاء، مثل **<u>لينا</u>** في قسوةِ السّكونِ تُعيد للجسدِ روحِها ويقظتِها، لم نخضع لسّودانيةِ رهبةٍ ودُاجاها، حاولنا أن نُمسك بنا وأعادتنا، من كُلِّ جموحِ ما فينا، انتصرنا علينا.. على الوحشِ الّذي فينا، روضناهُ ليُقاتل في صفّنِا، فانفجرت ذواتنا منا لنحيا من جديد،

أمواتٌ كُنا من دوننا وأحياءٌ نحنُ معنا!.

•‹‹ إيمان السكارنه ››•

المُقدمة

راما الثّباتَ في جسدٍ أنهكهُ الجوى،
فـ **رانَ يا** همٌّ على قلبٍ قد استوى.
صارت الرّوحُ تَهيمُ بلا جسد،
فالجسدُ، متى غابَ ساكنُه، فسد!
ففي صدرِ الحنينِ دُخرتْ أنينُهُ،
بينما **المروةُ** جُلتْ ودائعُه،
وقلوبُنا سحابُ الهوى،
والسحابُ غادرَ على سفوحِ **الرُبى**،
نزعْنا الحبلَ من مشانقِنا،
وربطناهُ على خاصرتِنا،
لتخرجَ عن سكونِها التّراتيلَا،
وتُعزَفَ مع لحنِ أغنيةٍ
تُسقى في الجوفِ **سلسبيلًا**.

•‹‹ إيمان السكارنه ››•

بيني وبيني الكثير

الليل شاب عاشق.. يفتشُ في وجوهِ العابرين عن معشوقتِه، فيجدُني.. فيلزمُني السّهر،

حين يأتي كُلّ ليلة حتى النّهار فيتوارى تحتَ عيني، أحاولُ الفِرار وفي قلبي الكتوم الكثير لبوحِه، فافتضي كُلّ ما في جوفي ليحملهُ ويرجعهُ إليَّ ثانيًا كُلّ صباح، أنساهُ فيُنسيني معهُ! وما أصعب تذكُر الذّات بعدِ ليلةٍ طويلةٍ من مواعدةِ الهلع.

☆☆☆

حين يأتي الليل أنيقًا ببدلتهِ السّوداء إليها كُلِّ ليلةٍ، يوهمها بلذةِ السّهر.. فيجرّها نحوَ ذروة مُفعمة بالخلاص، تُحاول الهرب فتفشل وتُصبح عبيدًا لشهواتِها، حتى تفنى رويدًا رويدًا، فيورطها بطفلٍ نُسجَ من أحلامٍ تُريدُ منها أن تكون حقيقة، فينسابُ هذا الطّفل من روحِها الهشة ويوقظُ فيها حماقة ما ارتكبت، ودموعها الحُبلى تنفلتُ بوجعِ ولادةٍ مُبكرة، ولادة أحلام ميتة.. تُمسك طرف ثوبها فتمسحُ نزيف فجوات العبث المؤكد، وبأكمامِها الطّويلة تمسحُ ما تبّقى من دموعٍ عالقةٍ على حافةِ جفنِها تتثرثرُ بالكثير! تفيضُ من

كُلِّ جوانبها سنواتٍ من الألمِ المُترتب فوق صدّرِها الفاتن، الّذي يترصدُّ كُلّ خطيئة ليكون هُوَ المقر، فتذوق قهر ما فعلت، وتُنذَر بقدومِ النّدم.

تَبعثرت في الأرجاءِ، تحاولُ لمَّ ما تستطيع فتنتثرُ منها ذاتها وتختفي، تستعينُ بقلبِها المُحترق وتستنجدهُ بأن يعود للحياةِ بعدما قتلتهُ الطّمأنينة لكُلِّ الأشياء،

لا جدوى.. فلم يستجب!

بمفردِها تعيش، عانقتها الوحدة بمرارةِ الفُراق،

تنظرُ في المرآةِ فدّارَ بِها السُّؤال،

تفتشُ في عينيِها عن جواب،

صدّرُها يلهثُ بكُلِّ الأشياء، تستندُ على ذاتِها الهشة فتسقطُ مُنازعة في لبِّ الذّكريات.. تخافُ تذكُر الأمور التي حدث عنوة عن إرادتِها.. تخشى الماضي فمالت على حائطٍ مُهترئٍ تشكو الإله، حارت بأمرِها، وحارت بِها كُلّ الأشياء، ليلُها العاشق والسّاكن تحتَ عينها يزداد، وخوفُها يكبحُ روحُها ويُضمرُ قلبُها، فانسابت في أعماقِ ذاتِها واستقرت هُناك؛

لترى ظلام مُوحش كالليلِ الّذي يزورها كُلّ مساء!
فعلمت إنها تواعد خوفها وذاتها بعينِ الزّمان!
هيَ تائهةٌ فيها،
هيَ ولا أحد يعلم بقساوةِ روحِها عليها،
تتفتل في جوفِها تبحثُ عنها، تزورُ ضريح روحها المدّفونة هُناك، حيثُ لا أحد.. حيثُ أنيسُها الوحدة!
حيثُ الهدوء بعدَ الكلام.. حيثُ رياح الهزيمة تهبُ من صدى الفراغ مع إيقاع بُصيلات شعرها وتعزفُ الكمان،
موسيقى الألم.. هيَ سيمفونية الحياة العبقرية، التي توقظُ في دواخلِها شرارةِ لهفةٍ تلّحُ لتأخذها منها نحوَ الانصياع لرغباتِها المُثيرة للشّفقة وتُنذر بدّنو الأجل!
وتهدف لسعادةٍ لن تكون!
تحتضر ثنايا جسدها المُتيمة لعناقٍ مُحال، وهُلّمَّ العُمر مُتقدمًا بمجرفةٍ تحفرُ في مُحياها تجاعيد تقترنُ بمواعيدِ الزّمان، كأنما هيَ رواية تحكي وتترجم الحُفر المُتشعبة إلى كم طريقٍ سارت؟ وكم قصة عاشت..!

أغلقت عينيها بشدّةٍ... والرّمشُ على ضفافِ العين كعشبٍ يملأهُ النّدى! والجفنُ ستارةٍ تُسدل لتواري الحقيقة، حقيقة الحزن المُبهم.. فالأعين لا تستطيع الكذب، والحزن مُلثمًا كقاتلٍ يخفي هويته، يهرب من عدالةِ السّماء، هائج كنارٍ تلتهمُ ساكنها، وقلبُها وقود النّار.

الفراغ يُغني بصخبٍ أغنية الزّوال، فهرعت لذاتِها قبل مُضي الأوان، السّواد يقترب يحتضنُ جوفها ويواسيها بالعناق، انسجمت معه كليلٍ يزينه البدر في السّماء، رفعت رأسها صوب الفضاء، تناظرُ عبثية البريق المُنتشر، عيناها متوهجتان، وابتسامة حزينة ارتسمت على شفتيها القاحلة، وأبت أن تموت! والموتى هم نجوم، وما أكثر النّجوم! بطريقةٍ ما شعرت بأنّهم كُلّهم هيَ، فهيَ كُلِّ يومٍ تموت!

طُرحت على بلاطِ الصّمود، استنجدت بروحِها التي وُئِدّت بغيرِ حق، فراحت تصرخُ وخلف ذاتها تسعى، أخيرًا تملّكها شعور أن تكون هيَ! وتومئ بقدوم النّجاة من هذا الضّياع، راحت عند مُقدمة قبرها.. تندّثرُ بينَ أتربةِ ضريحِ روحِها الميتة وتنتشلُها،

وسماء وجهها يحوي غيمتين تهطلُ بغزارةٍ فوق التُّراب، أمطارٌ حامضية تسلخُ رغباتها المُلّحة للهلاك؛

فأزهرَ قبرُها بروحِها من جديد، وتحققت أجزاؤها بالحضور، فالتقت بذاتِها!

وفارقُها الفُراق..

•‹› إيمان السكارنه ‹›•

الـهلاك الـمحـرّرِ

كنتُ كالغريق الذي أنهك يديه وهو يحاول عبثًا النجاة من الغرق؛ يمسك بالحبل تارة، وتخذله يداه الملطختان بالدماء فيتركه مرغمًا متحسرًا تارة. ثلاثُ سنواتٍ مضت، كانت كفيلة بأن أمسك بذلك الحبل، لكن ماذا لو سئم مني حبل النجاة نفسه وبدأ بالاختفاء؟

إنَّ المعارك التي يقاتل فيها المرء بكل جوارحه تكون مرعبةً حين تبوء بالفشل؛ إذ يصبح جلّ ما يخشاه الإنسان أن يفقد نفسه، إما مقتولًا وإما منتحرًا. قد لا يراك أحد وأنت تضع يدك المرتجفة على قلبك كلما هزّتك رعشة الحدث؛ تودّ لو تطبق عليه بكلتا يديك خوفًا من أن يفتق داخل صدرك. والجميع يجهل الواقعة التي دفعتك لتخبّئ وجهك الكامد وراء طفل يصغرك بتسعة عشر عامًا؛ خشية مواجهة العالم بتلك النكبة الفادحة. ومع ذلك، تكون متجلدًا وتحمل عباءة المنقذ؛ لتشعل قناديل الفرح للعابرين، والحزن يغرس في أعماقك أسهم الانكسار. ولا يحيط أحد علمًا بالأمر الذي آل بك لتجلس وسط القبور، تدفن رأسك بين ركبتيك، وتجهش بالبكاء بدموعٍ لا تعرف لها نهاية، ويسمع عويلك الموتى، فما عاد هناك

حيّ يحتمل صدره مُرَّ فاجعتك أو تقوى أذناه على تلجلج صرخاتك، قد تخشى عليه أن يسلبه ضجيج أعماقك نعمة السمع. وينخر الضيق في لبّ فؤادك لتختنق بين السخط على ما أصابك، والرضا بما كتبه الله لك.

إنْ أردت الحق، فهي أقدار مقدّرة، وأكاد أجزم أن نفسي بريئة من ذلك الخطأ لأني ولسوء الحظ؛ كنت الابن البار الوحيد للأب الشرعيّ لأحزاني، وماذا لو كان صيادًا دؤوبًا، شرهًا، صقلته السنين، فألقى بشبكته وأطبق عليّ؟ كيف سأنجو وأنا رهينة جشعة!

هذه اللحظة هي أشدّ ما يعلق بالذاكرة، أن يرى الإنسان نفسه مكبّلًا، يقاد إلى الموت وهو لا يدري، والأحزان التي كانت مركونة عنه جانبًا، هرع كلّ منها وقطع تذكرة لحجز كرسيٍ داخل صدره، فلم يستفق إلا على دويّ الصافرة، لتعلن له بداية رحلة صامتة، صار فيها أبكم مهما تعالت صرخاته.

يعتاد المرء الألم، ولا بأس بثقل الخوف وارتجاف الأضلع، ولكن إلى متى؟!

إلى متى يمشي بين أهله ضاحكًا، مهرجًا، ومبدعًا في إخفاء حزنه ؟!

ويظلّ يخشى أن يسمع أحدهم من خلف الباب صوت تقطّع أحباله الصوتية من قوّة الشهقات التي تلتهمها روحه بين تنهيدة منقطعة وصمتٍ مفاجئ ليخبرهم بانقطاع النفس بين النوبات البكائية. فلا مبرّر يتسّع لكلّ هذا الجزع، والشهيق المفجع كوداع الجنائز ،حينها أدركت، بصدق مُر، كيف يمكن للإنسان أن يقوى على قتل ذاته. عندما تفقد عقلك بين ظلمة القلب وظلمة الحياة؛ سترى ليلك يبدأ في الواحدة ظهرًا، وستصلي العصر بعد منتصف الليل، ويطلع فجرك في السادسة مساءً لتصلي المغرب مع بزوغ الشمس، وشعاع القمر يلوح بين عينيك. تخونك قدماك وتبكي، لكنك ستدرك أن حتى صوتك يحتاج إلى عكّاز، وتطأطئ رأسك أمام الناس خشية أن تفضح عيناك ما تخفيه، معلنةً أنّ كلّ ما تخشاه صار كابوسًا يجثم على صدرك! يعزّ عليّ أنني دفعت ثمنًا باهظًا؛ لسقوطي بغتةً في شرك تلك الشبكة. فقدت بصيرتي دون أن أعي ذلك. تغرّبت عن ذاتي، وقفت أمام المرآة لا أعرف

هذا الوجه. نزفت دماءً بين يدي من ليس جديرًا بأن يراها. وشكوتُ إلى الله قلبًا لا ضياء به، أصابه العمى وعيناه مبصرتان. من المخيف أن يشتاق المرء لنفسه، ينظر لصوره القديمة متمنيًا أن يحتضنها، ويتأمل ابتسامته متحسرًا لتلاشيها. كان الحزن غافيًا. لعن الله من أيقظه، وعبث في النور فأطفأه، وأطاح بالأمان فاغتصبه. كلّ ذلك جرم لا يبرّر ولا يغتفر، ولا تملك الأيام حق العفو عنه. لطالما كنتُ أشعر أنني أخون نفسي كلما شرعتُ بترويضها على احتمال الأذى. صفعة أبتلعها بمدمعي، وصفعة أحاول صدها باكية، واحدة أجدها مريرة، وأخرى أقل مرارة. كنت أحاول، لكنني لم أحتمل. فشلت الخطة المئة والثلاثون. رجعتُ من البداية أضمُّ جروحًا جديدة وأسرارًا مروّعة. وقلبي يتهشّم تحت وطأة الألم. كلما أردت البوح يمسك بي الفزع وأرتجف ذعرًا. فلا أحد يعلم الجزء الخفي الذي يقبض على لساني بمقرض حديد. فالحديث عنه محرم عليّ ما حييت.

... مضت الأيام،

... لم أمت،

... ولم أكفّ عن الموت،

... لم يحدث شيء،

... ولم يكفّ شيء عن الحدوث.

في تلك السنوات التي ذُقت فيها جميع مفردات التأوه والتوجع، كنت في أمسّ الحاجة إلى أن تغفو أمي بجانبي طوال الليل، أكثر من حاجتي إليها في طفولتي. كلّما استيقظت باكية وددت لو أهرع إليها وأخبرها أنّ الوحش هذه المرّة يمكث داخل قلبي لا تحت سريري. ينهشني كلما حاولت الهرب من قبضته، ويوقظني بنصف الليل خوفٌ لإصراره على ابتلاعي. أحيانًا كنت استيقظ على بلل المخدة دمعًا، أو على رجفة يدي وهي تتخبّط برأسي كمدمن اقلع عن الكحول البارحة، وغالبًا على صرخة خروج الروح من جسدي، تلك الروح التي كانت تقتل في المنام بشتى الطرق. وأكثر منام أرهقني كان ذلك الذي رأيت فيه نفسي أحترق في مكان أعرفه ويعرفني، خرج الجميع إلا أنا، وراحت النار تلتهم جسدي شبرًا شبرًا، وأنا أرى الألم يمزقني مع كل جزءٍ يذوب مني،

شعرت بكل لحظة، وكل صرخة مكبوتة، ولم أستيقظ إلا بعدما احترقت بالكامل، عندها، أدركت أن هذا المنام بالذات لم يكن مجرد حلم يفزعني وينتهي! بالرغم من مواساة أصدقائي وحديث أمّي عن كونها مجرد أضغاث أحلام، غير أنّي كنت أزداد يقيناً في كل مرّة أنام بها، أن الأيام المقبلة تحمل من الوجع ما لا طاقة لي به، ولكن أيّ نارٍ تلك التي ستأكلني بهذه الطريقة؟ هنا حاولت جاهدةً الفرار من المعركة، وعزمت أن أرجع القهقرى، رجوعاً لا التفات بعده، ومجدداً خذلتني يداي المضرّجتان بالدماء؛ لعدم قوّتهما على سحب ثقل قلبي، وبعد شهر أمضيته برعب وذعر؛ حدث ما كنت أخشاه، التهمتني النار من قدميّ إلى منبت شعري، وقضمت قلبي لقمة واحدة، لم تكن تلك الفجيعة الأخيرة، لكنها بلا شك كانت الأشد قسوة، وهي التي انحنى لها ظهري، سقط قناع الصمود عن وجهي. كشف الحزن عن نقابه، ليجعل انكساري جليًا كالشمس. واعتنق سواد الدخان ملامحي فعلم الجميع باحتراقي، وتكتّمت عمّا أشعل فتيل النار في ذاتي، أتذكر حينها أنني من عظيم ما أصابني، مكثت ثلاثة أسابيع متتالية في الفراش. امتنعت عن تناول كل ما أحب، ورفضت التكلم مع

الجميع. كانت حرارة جسدي مختلفة عن أيّة حالة مرض مررت بها طيلة حياتي، حتى أنها أفقدتني المقدرة على الوقوف، توعّكت لفترةٍ أعياني فيها التعب، واستحلّني الغضب اتجاه الجميع، وتوالت عليّ الأمراض حتى دخلت المستشفى لثلاثة أيام، آلمتني ملامح والديَّ، اللذين كانا مثل عجوزين ينظران بحسرةٍ إلى ولدهما البكر وهو يحبو في عمر الثلاثين، كانت تلك المرة الوحيدة التي أبصر فيها معظم أفراد عائلتي حزني، رغم أن بيتنا كان مكتظًا بالغبار المتناثر من روحي؛ إذ كان يوحي بأنني مقاتل جبار، رغم وطأة الهزيمة، جلس معي كلّ منهما على انفراد، لإجراء محاولات فاشلة لمعرفة ما يحدث، تطلّب الأمر منّي أن أعتنق وجه المهرج الذي أرتديه مجبرة، فحوّلت الأحداث إلى نكتة ساخرة، وأسدلت على نفسي عباءة الفتاة المدللة والمفرطة في الدلع –لأنّ أبي في الواقع رجل يرفض أن ترتفع نبرة أحد في وجهي أيًا كان صاحبها– لذلك كان اقناعهم سهلًا. الأسوأ أنّه لم يقل لي أحدهم أنّ العالم خارج بيتنا قاسٍ. لو كنت أعلم لخرجت لابسةً دروعي ولعدتُ دون أن يدهس لي أحد على ظفر، لكن الغفلة دفعتني لأخرج وأعود كلّ يوم، وأنا أجرّ جناحيّ بذعر، كان الكتمان مريرًا. كدتُ أن أجفّ

من كثرة البكاء، ومن فرط الهمّ خمدت حواسي، وأرخيتُ يداي في قلب اللهيب، ولم أحنُنْ على نفسي، إلا أنّ نخاعي الشوكي أفزعني؛ فرغم انقسام ظهري ظلّ حيًا يحمل ردّات فعلٍ عكسية أثناء صمتٍ رهيب. أصبحتُ أكثر رعبًا، كجسد ميت ينتفض كلما غسّل بماءٍ حار، وفي ذروة ألمي بدت آثار رحمة الله تقترب، شهدت المِحنة تخلع ثيابها، لمحت خيوط الشمس بعد ثلاثة أعوام دار فيها القمر ستًّا وثلاثين دورةً كاملة حول الأرض. أدركتُ أنها على وصول، فتبعته بخمسة أشهر، وأشرقت، كثيرًا ما تدخلت القوة الإلهية لكنّ الأمر كان يتطلب القوّة منّي أنا، جادت عليّ تضرّعات ليالي القدر، وعبرات صلوات الضحى، ونحيب قيام الليالي الباردة، ومناجاة غياهب الدُّجى، والتوسّل بين الأذان والإقامة، وابتهالات عشر ذي الحجة، ودموع وشهقات متتالية تمتد من رأس المحنة حتى طلوع فجر الأول من أيار، وأخيرًا ذهب الليل الذي حضر دون أن تكترث الشمس، ومُدّت إليّ يد العون الإلهية، ربطت على قلبي المتآكل، وأعطتني سيفًا أقطع به حبال تلك الشبكة، نهضت منها حاملة أطرافي فوق رأسي، لم أدع شيئًا يسقط مني، لملمت شظايا روحي، خرجت كمتسوّل.

أبحث في وجوه العابرين عنّي، أتساءل هل رآني أحدكم؟ لعلّه يخبرني كيف كنت سابقًا وكيف كانت تخرج القهقهة من فمي؟ كنت كالمجنونة أبحث عن نفسي، أجلس مع الآخرين لاسترق منهم شيئًا عني وأستر غربتي بالضحك المستعار، وكلّ ليلة في فراشي أغيّر الضماد لجراحي وأنام حزنًا على ذاتي وما وصلت إليه من وهن، وإن أطال أحد النظر في عيني، أشعر أنّه اقتحم مخبوء نفسي وما أضمره فيها، فتنتابني العبرة، وأمسكها حتى أستدير، ثم أنكس رأسي لتسقط في يدي. أتابع السير بوجه ضاحك، وأحكّ راحة كفّي فلا أحد غيري يلاحظ، حتى بدأ الله بالتدريج ينزع منّي غضب أيامي الحزينة ويمنحني جناحًا عوضًا عن ذا الذي انكسر، كنت أعلم أنني لا أهون على الله، وهو يعلم من أنا، ويدري بعدد المرات التي حدّثته فيها عن حروق جسدي التي تؤلمني كلّما احتكّت بملابسي، وكيف كنت أجاهد بأن أوّاريها عن الناس، ويعلم كيف تعثّرت دون عمد، وكانت عثرتي فوق رمل من جحيم. صحيح أنني أضعت القبلة، لكنني لم أكفّ عن السجود فحيث ما ولّيت وجهي فثمّ وجه الله، هذا أقسى ما خطّته يداي، رحماك ذقت العلقم، كان كسرًا عميقًا، وبكاءً مريرًا،

وسبحانك كنت أنت الربّ الرحيم، أسألك بعزتك وجلالك ألا تجعل خيطًا واهنًا من حزن نزع من قلبي أن يعاود نسج خيوطه عليّ، آمل أن أعود يومًا لهذا النص، وأنسى سبب كتابته،{{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}}

★ دوَّنت في السادس من ديسمبر عام ألفين وأربعة وعشرين حين انحنى الزمان خاشعًا، وأرخت المشقّة حزامها عن جسدي، كأنما أعلنت الحياة هدنة طال انتظارها.

•‹› ربى حسين الزيود ‹›•

رحلة الخلاص

في رحلة الإنسان مع نفسه، يجد نفسه غالبًا في مفترق طرق بين الفوضى الداخلية والهدوء الظاهر، بين الأحلام التي لا تتحقق والآمال التي تتناثر في دروب الحياة كسراب بعيد. في كل خطوة نخطوها، تتداخل أفكارنا ومخاوفنا، فنشعر وكأننا نعيش في عالمين متوازيين: أحدهما حيث نستسلم للظلام الذي يلاحقنا، وآخر حيث نحاول بكل ما أوتينا من قوة أن نغلب هذا الظلام ونبحث عن نقطة ضوء صغيرة وسط العتمة التي تلفنا. هي لحظات من الضعف والقوة، من الهزيمة والنصر، من صراع دائم مع الذات. وفي قلب هذا الصراع، يولد الأمل. لكن الأمل ليس مجرد شعور سهل أو فكرة عابرة، بل هو مسار طويل يتطلب شجاعة أن نواجه مخاوفنا، أن نتساءل عما إذا كنا حقاً قادرين على النجاة من أسوار الذات التي شيدناها حولنا.

هذه القصة ليست فقط عن البحث عن الخلاص، بل عن الرحلة المستمرة التي يعيشها الإنسان بين الظلال والنور. عن الارتباك الذي يسكننا حين نواجه أنفسنا بعيون مفتوحة على شظايا

الماضي وآمال المستقبل، في النهاية، هذا النص ليس مجرد كلمات تُكتب، بل هو انعكاس للصراع الداخلي الذي يعيشه كل منا في لحظات الظلام، حيث نبحث عن الفجر الذي سيشرق يومًا ما. قد تكون الطريق شاقة، وقد تبدو الأيام مليئة بالعثرات، ولكن الحقيقة الثابتة هي أن كل خطوة نحو الخلاص هي خطوة نحو الذات الحقيقية، حيث نتعلم كيف نكون أكثر قوة، وكيف نحرر أنفسنا من القيود التي فرضناها على أرواحنا. أروي هذا الصراع، صراع الإنسان الذي يقف على حافة الهزيمة ويتحدى نفسه ليصل إلى النور، ليكتشف أن النور لا يأتي إلا بعد الظلام.
لا شيئا أبدًا يساوي أن يعيش الإنسان تجربة حريته من كل شيء، من فكر وحلم وأمور لا أساس لها من الصحة والاستقرار، خصوصا النفسية.

كن دائمًا على ثقة كبيرة أنك تستطيع الخروج من كل حفرة تأتي بطريقك وإن طالت بنا أيام المحاولات للخروج، نحن دوماً نتعلم. وإن كانت من كل تجربة مررنا بها وإن كانت قصيرة لا شيء في هذه الحياة يمر مرور العابرين بلا فكرٍ أو هدف ودرس.

كنت أغرق في أفكاري المظلمة، أبحث عن نقطة ضوء بين العتمة التي تلتف حول روحي، ولكنني بدأت أدرك شيئًا غريبًا؛ أن الخوف، رغم قسوته، لم يكن سوى بوابة صغيرة نحو قوة لم أكن أعلم بوجودها بداخلي.

تلك اللحظات التي كنت أظن فيها أنني أضيع، كانت تشعل نارًا داخل روحي تجعلني أستمر في البحث عن مخرج.

دائماً نستحق أن نكون أفضل، ربما كتلك الأفكار التي تأكل دواخلنا وترهقنا، ونشعر أن للآلام حق عظيم علينا، لكن نحن من نصنع الآلام ونحقق الأحلام ولا يستحق منا هذا الجسد الضعيف وهذه الروح كل تلك الآلام التي نذخرها داخل أنفسنا، ربما علينا الجلوس وتبديل أفكارنا وأحوالنا وإبعاد كل تلك الحواجز الداخلية الدفينة.

أحيانًا، كنت أشعر بأنني غارقة في أفكار مظلمة لا مخرج منها، ولكن مع مرور الوقت، بدأت أرى خيوطًا من النور تلمع في داخلي.

تلك اللحظات كانت تحمل إشارات صغيرة، تذكرني بأنني لا أعيش من أجل الألم، بل من أجل الوصول إلى تلك اللحظة التي سأقف فيها بقوة أمام كل مخاوفي.

أُريدني دومًا أن أكون كطائر حر يحلق في السماء بعيداً عن سوء الأفكار وهلاكها؛ بينما كنت أغرق في ظلامي، بدأت أسمع همسات الأمل تتسلل إلى أعماقي، كأشعة شمس تخترق غيوم السماء العاصفة.

كنت لا أزال تائهة، لكن في كل محاولة للخروج، كنت أشعر بشيء مختلف.

كان النور بعيدًا، ولكنني كنت أراه يلمع في الأفق. إنه يقترب، وأنا أقترب معه.

كانت تكفيني التجربة، أن أنظر إلى نفسي إن كنت أستطيع القتال، أو أستطيع المحاربة، هل لديّ كل أسلحتي التي قد أحتاجها في حربي مع أوهامي.

أدركت مؤخرًا أنني وإن أمسكت يدي ولمست أول خيوط النور سيكون الطريق ممكنًا وإن كان صعبًا وطويلاً..

لا شيء في أحلامي يحتمل المستحيل، كل شيءٍ جائز ما دمتُ على قيد الحياة، ما دامت أنفاسي تتصاعد داخل جوفي وقلبي ينبض بالأمل.

ربما أصابني ذاك التيه، ذاك الخوف المرعب الذي يرهقني كلما أغمضت عيناي، لا زالت العتمة المبهمة ترافق أحداقي ومخيلتي.. كيف لي أن اسير بطريقٍ أحرر فيه نفسي من نفسي، من آلامي وأوهامي، من ذبحي لذاتي كلما جلست وحيدة.

كيف لي أن انتشلني مني، أن آخذني إلى النور.. كلما فكرت بالنور المقيم خارج أجزائي أراني أنغمس بعتمتي أكثر أتوه بروحي ومشاعري ومخاوفي.

أهرب من آثار الحرية إلى عمق أسجاني.. لا شيء يرهقني سوى نفسي ولا أحد يستطيع إنقاذي سواي..

أراهن أنني لا زلت أجهل طريقي اقف مع نفسي وأضيع بين ثنايا الرعب الهالك، ذاك الرعب الذي يأسرني، يهلكني ويقضي على ما تبقى من آخر آمالي، كوحشٍ كاسرٍ يأخذني حيث أطفاله الجياع الذين ينهشون ذاكرتي وأفكاري وعقلي كي يغادرهم الجوع،

تنظر إليهم أمهم بمتعةٍ عظيمة وهم يلتهمون ما تبقى مني داخل كهفي الذي رسمته بنفسي.

لا أقاوم، فقط أمسك برأسي أبقوا ليَ القليل، هل القليل من نفسي كثيرٌ عليّ؟

أو ربما لست أنا من تحارب نفسها مستسلمةً لتيهٍ غريب يأخذني حيث يريد يأسرني يمزقني ويسلخ أعضائي عن جسدي.. لكنه يبقي لي عقلي فقط كي أعود من جديد كلما هربت من آسري سحبني وأعادني لسجن أفكاري اللعين..

أمقتني وأمقت مخاوفي وأمقت عتمتي تلك التي لا تملك سواي ولا أملك سواها..

كسراب صحراءٍ قاحلة.. أتوه في نفسي أبحث عن الخلاص.. عن قطرات ماءٍ مضيئة تنير طريقي القاتم..

لكنها سراب.. كلما أمسكته بيدي هرب بعيدًا وتلاشى بين يدي كحبات التراب.. تتساقط من يدي كالوهم، خيوط شك تتشابك داخلي وإن لم أكن على قيد الحياة؟ من أنا؟ من أين أتت تلك القوة لأبقى بالظلام الدامس... كيف أتتني قوة الاستسلام... نعم نحن نحتاج إلى قوة كبيرة للاستسلام أكبر من تلك القوة التي

نحتاجها للمسير، أحتاج لقوة كي أدمر أحلامي وأتوه في عالمٍ بلا أحلام.. أحتاج إلى قوة كبيرة كي أتنفس فقط بلا حراك... لكنني هنا.. ربما لم أصل للقوة الكبيرة التي ستقتلني بلا أنفاس ولا حتى رمشةٍ صغيرة أودع بها آخر دمعة استثقلتها عيني..

أنا هنا فقط أريد المسير أريد الخروج بدأت أخاف من نفسي.. من مشاعري.. من تيهي.. أخاف من عتمةٍ رسمتها فقط في خيالاتي.. أريد أن أعود كما أنا.. أطير بين ضحكاتي وقهقهاتي اللامتناهية... أتراقص بيني وبيني.. أرتسم على أفواه الزهور أسترق منها قبلة النصر والزهو..

تأتيني تلك المشاعر التي تأخذني من بين أيدي الظلام تسحبني رويدًا رويدا... لكن لا أريد.. أريد أن أخرج من ظلامي بروحٍ جديدة.. روحٍ لا تهاب العتمات ولا تربّي داخلي وحوشاً قاتلة.. أريد أن أخرج مني بلا عودة ولا سبيل لي سوى القتال..

حربٌ عظيمة إما أن أكون فيها منتصرةً على أوهامي أو أن أموت وأنا أحاول.. أريد أن أراني وأنا أنتصر أريد ذاك الضوء الذي يلمع من بعيد... أريدني حرةً من نفسي.. ممتنة لي لإخراجي.. وسأحكي قصة نصري للجميع.. أو ينتصر الإنسان على نفسه؟

أنتصر على روحي وأنسلخ مني كما تنسلخ الفراشة من شرنقتها وتطير بعيداً إلى فسحة السماء وفوق الغيوم البيضاء حيث تتساقط الأمطار لتعطي النباتات زهواً جميلاً ولمعةً فريدة بعد سطوع شمسٍ جديدة تبدد الغيوم...

سأقتل أوهامي فهي مجرد أوهام.. سأحاربها بسيفِ الأمل.. وأقتلها ضوء القوة الخفية.

قد تكون الطريق طويلة، وقد يبدو الأمل بعيدًا، لكنني أدركت أن النور لا يأتي إلا بعد الظلام.

سأواصل السير، خطوةً بخطوة، حتى أرى النور الذي ينتظرني.

قد يكون هناك المزيد من المعارك، ولكنني أعلم الآن أنني أستطيع أن أحاربها، وأنني سأنتصر. اليوم، لا أبحث فقط عن الخلاص، بل عن القوة التي ستمكنني من الخروج من هذا الظلام، وأن أظل ثابتة أمام كل ما يقف في طريقي.

لم تخبرني صراعاتي أنني غارقةً لهذا الحد، منغمسة في اسودادي القاتم، في نفسي المهلكة، غارقةٌ في أحلامٍ تحولت لكوابيس دفينة تتراقص على أنغام أفكاري كل ليلة، تفزعني، ترهقني وتأخذني.

لم أكن أعلم أنني هنا في البعيد أتسابق مع كل شيء يستطيع أن يهلكني أكثر، أنا أم عقلي، فكري أم أوهامي، مخاوفي أم تدميري لذاتي. كيف سبيلي لإعفائي من ألمي، لسكون روحي، لبزوغ فجر تحريرٍ مني.

كيف يمكنني الذهاب، حيث ذاك الضوء الذي كلما ذهبت إليه هرول بعيدًا ضاحكًا من محاولاتي الفاشلة للوصول إليه، يمزقني وينثر أجزائي عبر فضائي لأعودَ للبحث عني مرات ومرات لأوقاتٍ لا أعرف مداها ولا متى ستنتهي.

رأيتني دومًا وأنا أحاول السير بأقدامٍ دامية، برأسٍ ينزف الويلات، بعينان تخرجان من محجريهما وتعودان مرارًا ويدان مثقلتان تعيدان لرأسي تفاصيله لكنه يأبى؛ تخرج الأفكار منه وتلكم يداي تضربني بشدة وكأن يدي هي سورٌ يمنعها من الخروج وتحاول هدمه. لا أريد شيئًا، لا أريد شيئًا الآن سوى أن أنام ليلةً وحيدة وإن كانت الأخيرة بأضواء أملٍ قريب، بملامح أنثى متزنة، لا أفكار ولا ويلات حربٍ داخلية جسيمة.

أريد أن أحارب (برمي عصا السنوار)،حتى الرمق الأخير والحركة الأخيرة، حتى أقول أنني لم أر اليأس أبدًا في حياتي.

أمسك بيدي من سماء أفكاري السوداء، يدٌ من نور تمتد إليّ ترفع رأسي ذاك الذي دفن بين يداي الاثنتين وأنا أتكور على نفسي منغمسةً فيّ، تمسكني رغمًا عني أنظر إليها بعيونٍ يملأها الخوف من نفسي لا منها، عينان تنزفان ألمًا كبيرًا، لكنها تمتد وتمتد لتمسك يدي التي تقوقعت داخل أحضاني معلنةً التصاقها بي، أمسكتني مني تحاول تحريري من جسدٍ متكورٍ ضعيف استسلم لموته البطيء الذي يتكرر كل يوم قبل موتته الأخيرة.

أعلم أن أكثر ما يرهقني هو اضطرابي الداخلي الذي بدأ يؤثر على جسدي الحي حيث يراني الأهل والأصحاب ، ربما بدأت أوهامي تغزوني وتحارب ملامحي كسوادِ ليل بات يرافق عينيّ المتعبتين، ففي الليل تتسابق الأفكار لتمزقني وتأخذني حيث صحراء روحي، صحراءٌ ليس بها رمال، أجلس أضم ركبتيَّ إلى وجهي؛ وجهٌ بلا ملامح وملابس مبهمةَ التفاصيل، ولا أسمع إلا أصواتًا تقهقه بعيدًا وأراها بعقلي تشير بأصابعها نحوي، أراني غريبة وسط كوني وغائبة وسط نفسي، ولا أرى مني إلا وأنا أسحب نفسي بعيداً محاولةً الهرب، أهرب من نفسي لا من أحد أهرب من أفكارٍ راودتني عنوةً رغم إبقاء باب عقلي موصد..

أحاول الخروج من ذاك التيه ولكنه فقط يلتف حولي كحبل مشنقة، يديّ مكبلتان بلا أصفاد ولا أستطيع إفلات الحبل.

ربما لا أريد شيئاً سوى استعادة روحي التي فارقتني قبل أن تفارق جسدي الضعيف.

لم أدرك انني في السابق كنت هنا في كل هذا الضياع اتوه مع نفسي في أيام وحدةٍ روحية عميقة أدركت أن وحدتي كانت منذ زمن كلما رافقني ليل طويل..

تذكرني أمطار الشتاء بضيقٍ يمر على طيف ذكرياتي كنت أسير صغيره في شارع مهجور وحيدة أبحث عن أمي وإن كانت بجانبي كلما صحوت من أفكاري أشعر أنني نجوت من موت داخلي محتم. لم أكن أتوقع أنني لازلت أملك بعض الخيوط التي تربطني بالواقع منذ صغري، من كمّ الأفكار التي ترافق هذه الروح، لكن دوماً آثار المعركة الهاربة تبدو على وجهي الشاحب، على مفاصلي المتعبة، وعلى شعري المبعثر، وربما على أقلامي التي تتسابق لتكتب آخر ما تبقى لي من عقل؛ لتدونه على أوراق بيضاء علّها تكتب حكاية نصري وربما موتي لكنني سأحاول النصر على نفسي بنفسي.

تهزمني الاسئلة دائماً.. تلك التي تسيطر على مقدمة أفكاري، كيف لا وأنا بصراعٍ دائم. لا أعلم لم دومًا تتسابق الأسئلة إلى رأسي ما الذي أوصلني إلى هنا؟ هل هي نفسي أم فراغي هل هي أفكار ولدت بعقلي الباطن أم هي مجرد تخيلات؟ هل أنا فعلًا من أتحكم بنفسي هل أنا من تمسك بزمام الأمور؟ هل أستطيع؟ وإن لم أستطع! هل سيبقى الجسد خالٍ بلا روح؟ أم أن جسدي سيسقط بسقوط روحي! لا أريد لعقلي الداخلي أن يفرض سيطرته على كامل جسدي، ربما لا يسمع أحد ذاك الضجيج، وصرخات عقلي في كل مرة أدوس بقدمي خارج قوقعتي، يصرخ عقلي تارة فيه ويقول لن تستطيع الخروج ابق هنا فأنت حبيسي، يأبى جسدي المليء بالجروح أريد قسطا من الراحة أريد السير خطوة واحدة للخلاص، اتركني فقط ربما نستطيع أن ننجو معا ولا يهلك أحدنا، ربما نستطيع أن نستمر، نريد الذهاب نحو النور يدي بيدك كما الجميع، أطلب الراحة منك فتستجيب، أطلب العون فتلبيني، وتحتاجني ربما لنستريح من عذاب قائم قد يقتل كلينا.

بدموع مبهمة يتأوه هذا العقل المريض من جسد يتهاوى أمامه ألا يزول ألا يذهب ولا يغادر آلاماً عاشها لسنوات "أريد فقط أن تبقى

هنا ربما هلاكنا سويا أفضل لي من مغادرتك فأنا أعلم أنك إن خرجت لن تعود، لن تعود؛ ستفضّل الحرية التي تظن على عقلٍ حذر يحاول دومًا أن يحميك من نفسك" ينظر جسدي بنظرة حسرة هالكة، قدمٌ تخرج وأخرى لا زالت في الوهم وبلهجة مكسورة "لا نريد دوما الاختباء في دوامة الأفكار المهلكة، ربما علينا المحاولة السير والخروج والمجابهة، أن نخاف ونتألم، يكفي أن نحاول. لا نستطيع دومًا الهروب من أنفسنا داخل أنفسنا؛ لأنه سياتي اليوم الذي نحارب فيه لنصل لذاك الضوء، سأعود فقط بعد أن آخذ بعض الأنفاس في الواقع لن أعدك أنني سأنجو اليوم ولا أن أبقى، لكني سأعدك أنني لن أتوقف، سأسير في خلاصي حتى أجد بصيص الضوء، ربما لن أراه اليوم لكنني أعلم أنه موجود وأنه ينتظرني سأبحث عنه في كل خطوه لن اسمح للظلام بأن يبتلعني، سأعلّم قلبي أن ينقش طريقه عبر الظلال عالمةً أنني وحدي من أقرر ما إذا كنت سأظل سجينه أم أني سأتحرر من القيود، ربما لم أصل بعد، لكنني بدأت أتعلم كيف أحلّق في السماء. وسيصبح الضوء جزءًا مني.

لا أعلم إن كنت قد أدركت بما فيه الكفاية لأقول أنني انتصرت لكنني بدأت أفهم أن كل خطوه صغيره نحو السلام الداخلي تعني شيئًا، ربما لا أزال في بدايتي لكنني على الاقل بدأت "

أما الآن، فأنا أحتاج إلى فسحة أمل، أو هدنة حرب داخلية؛ علّي أشعر ببعض الراحة، أو ربما أود أن أشرب كأس شاي ساخن وأنا أنظر إلى السماء أراقب النجوم. أهرب من نفسي، كأفكاري التائهة التي تريد هي أيضًا أن تأخذ بعض الراحة مني؛ فقد أرهقتها كما أرهقتني.

أريد أن أتركها تستريح بينما أضع بعض مساحيق التجميل أنظر إلى مرآتي، ربما أزور صديقتي لنتحدث عن واقعٍ غاب عني وغبت عنه أدرك في هذه الاجازة الصغيرة بأن الواقع لا زال موجودًا ينتظر كل أمل صغير نحاول السير فيه وربما يضع الحوائط المتينة يستند عليها من أرقتهم الأوهام.

•‹(ولاء محمد المشاقبة)›•

بين فقد وحياة

كنت أعيش على قيد الخوف، لا شأن لي بين شؤون الحياة، وقد انقضى عمري لقلة الاحتمالات وشحة الطرقات، فلا خيار لدي سوى أن ينقضي بين غمرات الخوف من اللاخوف، وفي كثير من الأحيان، كنت أمقت الروتين المهلك، وكأنك تعيش كل أيامك في يوم، أو ربما عالق في دوامة لا نهاية لها.

لا تستغرب أن أخبرتك بعد هذا بأني كائن روتيني بامتياز، فإن يومًا تألفه خير من يوم تجهله، وإن كان يحمل بين طياته حلمًا بعيدًا، وترعبني فكرة أن يزورني يوم تنفذ فيه قهوتي، أو أضيع كتابًا عاش سنين طويلة بين كومة كتب وسحابة غبار وبعض من كلمات، مُتعبة هي التفاصيل، فما بالك بتفاصيل التفاصيل؟

يا صاح، أنا أخشى الفقد؛ أن أفقد ما بين يدي وما ليس بينهما، أن أفقد حلمًا حققته وأحلامًا أخشى عليها من أن تبقى عالقة في جدران القلب، ولا مكان لها في هذه الدنيا. وأنا أضحك مع شخصي المفضل، أفكر في أكوام السواد التي تنتظرني إن غاب عني. وأنا أمشي تحت المطر الذي اخضرت له روحي، مسابقة

في ذلك سباقًا عذريًا أوراق الشجر، وقد حييت لأجله الأرض، وأينعت له الأماني على هيئة دعاء ورجاء.

والنفس تروى برائحته أملًا ويقينًا أن الذي أحياها لمحيي المراد، وإن عظم، فالله منه أعظم. لكن شيئًا ما يطرق باب القلب، لعله الرعد، أو فوبيا الفقد من جديد، وهي تستكثر عليّ خطوة أخطوها تحت المطر. في كل ساعة أفكر بالساعة التي تليها. أحمل بين كتفي رأسًا ثقيلًا يسمع صمت الهدوء.

صاحبت الترياق، لعل فيه دواء علتي، وزرت طبيبًا نفسيًا قالوا عنه: "ما زاره زائر إلا سكن." والحمد لله، أصبحت أخشى التعافي فأفقد بذلك الطبيب. قالوا عني شخص كنود، وقالوا كثير الخوف مرتقب، يخيفه الشيء واللاشيء، وقد صدق الناس فيما قالوا، فأنا حتى الأيام السعيدة تخيفني، وبدلًا من أن أعيش مشاعري، أفكر: لماذا هذا الكم الهائل من الفرح؟ أهذا الهدوء الذي يسبق العاصفة؟ كمن كانت السعادة بالنسبة لديه فخًا أو كمينًا، والهواجس تخبرني بأن الحزن يلملم نفسه في طريقه إليّ، فهو ضيفي الذي لا يكل ولا يمل مني.

وذات يوم انزويت بنفسي، مصارعًا نفسي، لأحصي ما وهبته لي الحياة وما أخذته مني. أكرر الإحصاء مرات ومرات، قهوتي وكتبي وشخصي موجودون هاهنا، لكن شيئًا ما هناك، على رأس قائمة الخسارات، تتوج روح أضعتها في مكان ما بينما كنت أبحث عنها ونسيتها. تعلقت بالقش ونسيت الإبرة، وما أنساني إياه إلا الشيطان أن أذكره، عظم الله أجري بالذي فقدت، وحظًا أوفر للحياة بشخص يستحق مباهج الحياة، وإن قلت: فنحن من يصنع الفارق في الأشياء، شخص يثمن دقائق فيها بعض الأفراح، وإن كانت بقايا، ثم إن بقايا الأفراح أهون على الروح من بقايا حياة. واليوم، كمجرب لا حكيم، أقول لك: اقتل مخاوفك قربانًا لروحك، فإن الروح أَجدر بالحياة منها. اقتلها، فأنت بقتلها تحيا.

•‹(تبارك منهل)›•

الخوفُ من النجاح

هل فكَّرتَ يومًا أنك قد تخافُ النجاح؟ نعم، تخافُ النجاح! وفي بعض الأحيان يكونُ خوفُك من النجاحِ أكبرَ من خوفِك من الفشل. أنا جادٌّ جدًا في هذا، وهي حقيقةٌ مؤسفةٌ أن تسمعها أو تُدركها. في أيامِ المراهقة، وقبل أن نستيقظَ على أنفسنا وقدراتنا ونختبرَها ونغامرَ بها، يكونُ لدينا تصوُّرٌ آخرُ عن حقيقتنا وعن قدراتِنا التي لم تختبر بعد. تكونُ هذه القدراتُ خائفةً من الخروج أو حتى مخاطبتِك بوجودِها. تتعرَّفُ على نفسِك من خلال نظراتِ أبويك وإخوتِك وأقاربِك، وكلُّ واحدٍ منهم لديه تصوُّرٌ عمّا أنت عليه. فتأخذُ لمحةً عن نفسِك في عيونِ كلِّ شخصٍ منهم، ولكنك لم تجرِّب أن تستمعَ لنفسِك أو تكتشفَ قدراتِك. قد يبدو لك ما أقوله غريبًا، لكنه حقيقةٌ لا بدَّ منها. أن تُجرِّبَ النجاحَ يعني أنك ستتحمَّلُ مسؤوليةً كبيرة؛ فالنجاحُ بحدِّ ذاته مسؤولية. سيُغيِّرُ محيطَك ويفرضُ عليكَ التكيُّف مع حالةٍ جديدةٍ وتجربةِ أمورٍ خطِرةٍ لم تتخيَّل أنك ستكونُ جزءًا منها. كما أنَّ الآخرينَ سيتوقَّعون منك أشياءَ جديدةً لم تكن تتخيَّل أنك ستفعلُها؛ لذلك

ستشعرُ بالخوفِ مع كلِّ نجاح، دعني أحدثُك عن شيءٍ قمتُ به بمخاطرةٍ غيَّرت مسارَ حياتي بأكملِها وتصورَ عائلتي وأصدقائي عني، عندما تبدأُ الدراسة، يكونُ لكَ مستوى أكاديميٌّ معروفٌ لدى أهلِك، ومن خلاله يبدؤونَ بتوجيهِك وفقًا لما يرونَه من قدراتِك التي تُظهرُها لهم. بغضِّ النظر عن التفاصيل التي تعيشُها في مدرستِك أو اختيارِك لأصدقائِك، وما إلى ذلك من أسبابٍ قد تؤثر على مستواكَ الدراسيِّ والاجتماعيِّ والنفسي. لم أكنْ أدرك تلك التفاصيلَ، كما أن أهلي لم يُدركوها.

ها أنا عائدةٌ إلى منزلِي، أحملُ ورقةَ تحديدِ مساري الأكاديميّ، ولم أكنْ منتبهةً لكلِّ تلك الأمور؛ بل لما يرونهُ أهلي صحيحًا بالنسبةِ لي، وما أظهرتُه لهم من قدرات، حتى أساتذتي رأوا ذلك فيّ، لكنْ في لحظةِ مقارنةٍ بسيطةٍ بيني وبين أحدِ أفراد عائلتي – والمقارناتُ عادةً لا تعودُ بالفائدة إلا على من يعرفُ كيف يحوِّلُها من محنةٍ إلى منحة – اشتعلت بداخلي روحُ التحدِّي، وأخرجتْ مني شخصًا لم أكنْ أعلمُ بوجودِه. كان ينتظرُ الضوءَ الأخضر مني ليعبرَ ويُظهر ما بداخله من قدراتٍ وتوقُّعاتٍ لم أكنْ لأتخيَّلها لولا أنني تغلَّبت على خوفي.

لم تكنِ الرحلةُ سهلة. لم أكنْ أتحدَّى عائلتي أو أساتذتي أو من يعرفُني، بل كنتُ أتحدَّى نفسي وخوفي. في كلِّ لحظةٍ كنتُ أخشى الفشل، وأخشى أنه حتى لو نجحت، كيف سأستمرُّ في هذا المسارِ الذي بدا لي وكأنه حلمٌ مستحيل. هل أريدُ النجاحَ حقًا؟ وماذا سيحدثُ بعد النجاح؟ هل ستواجهني توقُّعاتٌ جديدةٌ أو تحدِّياتٌ أصعب؟ كان الخوفُ من أنني سأبذل المزيدَ والمزيد بلا نهاية. كلنا نعرفُ أنَّ السنةَ التي تبدأ فيها بهذا التحدِّي لن تكون مثلَ أيِّ سنةٍ أخرى. إنه شبحُ "التوجيهي"! من منا لا يعرفُ هذا الشبح؟ الشبحُ الذي يُقلقُ أهلَك قبل أن يُقلقَك. اعتقد أهلي أنهم يختارون ما يناسبُ قدراتي ومستوى نجاحي، حتى لو كان الحصولُ على 50% أصعبَ من أن يكون أقلَّ من 50%.

عندما أعلنتُ أنني سأختارُ هذا المسار، تمت معارضتي، وحتى أنا بدأتُ أشكُّ في هذا القرارِ الذي ضحكتُ على نفسي به. لكنَّ التحدِّي كان أقوى مني، وأنا لا أقبلُ أن يشعرَ أحدُهم بالنشوةِ لأنه تغلَّب عليّ. وهنا دخلتُ في صراعٍ استمرَّ ثمانيةَ أشهرٍ من السهرِ والتعبِ والإخفاقاتِ المتتالية، ومع أصواتٍ تدعوني للانسحابِ والتراجع. التحدِّي والإصرارُ كانا أقوى من تلك الأصوات. لم يكن

الطريقُ سهلًا، لكنني فعلتُها، ونجحتُ نجاحًا لم أحقِّقه طوالَ أحد عشر سنةً من الدراسة! نعم، فعلتُها، لكنَّ الخوفَ من التقدُّم والنجاح زاد، وثقتي بنفسي قلَّت. شعرتُ أن كلَّ ما حدث كان مجردَ صدفةٍ واجتهادٍ ودعاء، وخفتُ من الاستمرار. والآن، ما زلتُ أتساءل: هل أنا حقًّا قادرةٌ على المضيِّ قدمًا؟ يا عزيزي، كلما زادت حريتُك في الاختيارِ زادت مسؤوليتُك، وإن الحياةَ ليست بهذه البساطةِ التي تتوقعُها. كلما سرتَ خمسَ أمتارٍ بسرعةٍ، عليك أن تُخفف سرعتَك وتراجعَ نفسَك وتستعينَ بالله في المطبِّ القادم، أنا لا أتكلمُ معك لأزيدَ خوفَك من النجاح، أنا أتكلمُ معك لأخبرَك أنَّ كلَّ مسؤوليةٍ هي شرف. كلُّ مرحلةٍ في حياتِك عليك أن تستفيدَ منها، تبذلَ وتتوقَّع، وتظنَّ بالله خيرَ الظنون، فإنه اختارك لهذا الطريقِ لعلمِه بك وبقدراتِك، وختامًا، إنَّ هذا الخوفَ علينا أن نشحنَه بالغضبِ كي نغلبَه ونستمرَّ، لا أن نتوقَّفَ ونشكَّ في قدراتِنا. بل علينا أن نثقَ أننا كلما بذلنا وسعَنا سيكونُ لهذا لذةٌ عظيمةٌ لا يُدركُها إلا من خاضَ في خوفِه وهزمَه.

•›⟨ لينا محمد الزيتاوي ⟩‹•

أموت لكي تحيا أنت

إنها الثانية عشر وخمس دقائق يا عزيزي: هواجس عقلي تتحرر تُصدر أصواتًا جياشة، أفقدُ استيعابي إنني كائن حي طبيعي يعيشُ في هذا الكوكب المُثير للعنة! أبدأ الدخول بمتاهة الأفكار والذكريات التي لطالما من الصعب الخروج منها، تُحاصرني أوجاعُ الذكريات، استنزفُ دموعي التي تأبى التوقف، أُنادي لغائبي نداء يفيد التحسُر نداء المُثير للشفقة! غائبي؟! وما الغياب؟ ومن هو؟! إنني لا اصدقه، يُرعبني اسمه ارتجف بالكامل، أصاب بالاشمئزاز، أكادُ لا أنطق حرفاً يصُدر أصوات، وإنما في اجوافي ثرثارة، لدي الكثير من الأسئلة الا منتهية، أخافُ على كل الأشخاص والمدن والبلاد والشوارع والوجوه التي أُحب، والتفاصيل الصغيرة التي أنا بها مُغرمة، أخشى غيابها دون عودة، عندما أتذكرُ تلك الفكرة (أموتُ وأنا على قيد الحياة)؛ كيف ستغيب ابتسامات امي التي بها ابدأ صباحي يومياً؛ إنني متأكدة تماماً عندما تذهب امي سيزول الصباح ، كيف لحينا الجميل وأصوات الحياة أن تذهب؟ كيفَ لأصواتِ الصِّبّيةِ وقهقهتهم أن

تختفي؟ ياسمين بلادي، أحضان أبي الدافئة حبات المطر التي ترويني "**لأحيا من جديد**" كيف لكل هذا إن يغيب ويذهب ويتركني وحيدة مع شظايا روحي التي أيضاً ستكون ذاهبة..؟! كيف لي أن اتخيل ذلك؟ كم ستسخر مني عندما أأُخبر: إنني أيضًا أكرهُ أن أغيب عن الأشياء كما أكرهُ أن تغيب عني؛ أنهار بالبكاء عندما أتذكر إنني سأذهب إلى مكان ما بعيد فوق السحاب، سأغيبُ عن غرفتي الجميلة أحزن لها لأنها ستفقدني، ستبحث عن رائحتي الشبيهة باللافندر لكنني ذهبت ولم تجدني! قلمي أوراقي سيشتاقون إلي فهم اللذان كنتُ أهرب إليهما من الواقع الصاخب.. لا لا لا.. لا يوجد غياب أكرهُ هذه الفكرة، قلبي يتجرع زجاجات من النبيذ المُتعفن لكيلا يبقى واعي لهذه الفكرة الساذجة في منتصف الليل! الليل؟؟ إنني أضفي عليه أكثر من ذلك (السواد، الحزن، علقم الأوقات، ولربما العاشق المُحب ليجمع الآلام الأوجاع ويسكبها على روحي مرة واحدة)، ينتابني شعور القشعريرة الباردة، تندثر مشاعري شوقًا للذي سلب مني روحي وأبقاني "وحيدة الجسد مسلوبة الروح" في ظُلمة الليل الحالك، (الليل، الغياب)، مُصطلحان يثيران الرعب في داخلي، لأبقى

سجينة الروح مُقيدة بأغلال الذكريات ليلاً؛ الذكريات التي صنعتها مع من أُحب.. يا لقذارة الذكريات كفاكِ جلدًا بجسدٍ مُنهمك من أجلكِ! يخطو بخطوة عرجاء للمستقبل، يتكئ على ما تبقى من العمر، يخاف أن يخطو بخطوة للإمام؛ فيصطدم بكل ذكرى عاشها في الماضي، "مقطع فيروزي، الشوارع العتيقة التي كانت شاهدة على آثار اقدامهم سويًا، الجدران الملونة التي لطالما استمعت إلى احاديثنا أو اغانينا أغاني الحُب" وها نحن الآن نُعاني من سكرات الحب أو بالأحرى "أُعاني وحدي" "**أموت لكي تحيا أنت**" يا لقذارتك أنت! تبًا لرحم الحياة الذي انجبك في سبع ليال! الذكريات التي صنعتها معك أصبحت عنوان القباحة لدي! اجبني يا ابن السبع ليال ماذا يفيدُك عذابي وعناني؟! يا للهول! إنه كابوس... ضوضاء تشويش فوضى آووه يا إلهي انه حُلم، أتضرع لله حمدًا، لن أفكر بتلك الأفكار المنهكة كالغياب والذكريات ثانية حتى لا تنال مني الكوابيس! سأزرعُ في عقلي بذرة التخطي لتنمو ويصبح عقلي لا مبالي؛ لا يهمه أمر من يذهب ومن يبقى لن أحب الأشياء لدرجة التعلق مثلما يتعلق طفل رضيع بأمه حتى لا اصنع الذكريات المؤذية للجسد، سأقفُ على

النافذة لأطرق زُجاجها وأتوسل الشمس أن تشرق؛ لكي أخبرها إنني أصبحت على ما يرام الآن لن أغلق الستائر مرة أخرى، سأسمح للجميع بالرحيل دون أن اتأثر برحيلهم بشكل مبالغ فيه لكيلا أتذوق طعم الأوجاع ثانية.. أشرقت شمسي من جديد، استيقظت باكرًا لإحضار قهوتي فهي المفضلة لدي تناولت الحلوى التي أحب استرجعت عادتي الصباحية لأوزع على أطفال حينا البالونات وبعض السكاكر الوردية لتتطاير أرواحهم بهجة وسرور أخذت أصوات ضحكاتنا تتعالى لنغني: "هيا نطير ونأكل الحلوى هيا نحب الصباح".

•›⟨ مروة خالد موسى ⟩‹•

من الظّلامِ إلى النّورِ

في بلدة صغيرة، واقعة بين جبال شاهقة وغابات كثيفة، حيث تتشابك الأغصان وتحيط الافق، عاش سكانها حياة هادئة، لكن خلف هذه الطمأنينة كانت هناك قصص دفينة، تحمل صراعات وأوجاعًا، ومن بين هؤلاء، كانت "روزلين" و"آدم" يعيشان رحلتيهما الفريدة في مواجهة الخوف، دون أن يدركا، كانا يحملان بذور الشجاعة التي تنتظر أن تنبت.

روزلين: فتاة في العشرين من عمرها، نحيفة ببشرة فاتحة وشعر بني ينسدل على كتفيها، وعينين واسعتين تعكس دائمًا مزيجًا من الحذر والتأمل. فقدت والدها في حادث عندما كانت طفلة، وأصبح الخوف من الظلام مرافقًا لها منذ ذلك الحين، كأنه ظلّ لا يغيب، تعيش في منزل خشبي قديم مع والدتها.

آدم: شاب يبلغ السابعة والعشرين، قوي البنية ذا جسد قوي مثل خشب السنديان، لكنه يختبئ خلف خوف أضعف من نسمة ريح، بشعر أسود قصير وعينين داكنتين تحملان بريقًا حائرًا. نشأ في عائلة فقيرة، لكنه ورث عن والده ورشة صغيرة للأثاث. كان حلمه

أن يصمم أثاثًا فريدًا يجذب أنظار العالم، لكن خوفه من الرفض والفشل كان يقف حاجزًا أمام طموحاته، كلما حاول أن يرسم تصميمًا، كان صوت داخلي يشبه صفير الريح الباردة يهمس له: "لن ينجح ستفشل لا تبدأ." في أحد ليالي الشتاء القارصة، انقطعت الكهرباء عن البلدة بأكملها بسبب عاصفة شديدة. داخل منزلها الصغير، كانت روزلين تجلس على سريرها، تحتضن وسادتها كأنها طوق نجاة. ارتعدت حين سمعت أصوات الرياح تهز النوافذ. حاولت والدتها تهدئتها: يا صغيرتي، الظلام لن يضرك إنه فقط غياب النور، لا أكثر..

لكن بالنسبة لروزلين، الظلام كان أعمق من مجرد غياب الضوء كان مزيجًا من ذكريات الفقد وأشباح الماضي، أما آدم، فقد كان في ورشته الصغيرة حين انقطعت الكهرباء، أشعل شمعة وبدأ يرسم تصميمًا لطاولة جديدة. توقف فجأة، ويداه ترتجفان همس لنفسه: ماذا لو لم تعجب أحدًا؟ ماذا لو ضاع كل هذا الجهد سدى؟

دفع الورقة بعيدًا وتنهد بخيبة أمل.. في الصباح التالي ذهبت والدة روزلين إلى السوق وطلبت من أدم إصلاح طاولة مكسورة

في منزلهم. عندما دخل أدم المنزل في اليوم التالي، لاحظ شحوب وجه روزلين وحذرها الواضح. أثناء عمله، لكن لم يكترث للأمر في البداية، بدأ الظلام يتسلل إلى الأرجاء، فرأى روزلين ترتجف بينما تحاول إشعال شمعة. بادرها بالكلام، وكأن شيئًا داخله دفعه لذلك: هل تخافين من الظلام؟:

"يبدو أن لديكِ الكثير في ذهنك هل تودين التحدث؟" نظرت إليه بتردد، لكنها وجدت في عينيه دفئًا شجعها على البوح: "أخشى الظلام. أشعر أنه يبتلعني، أشعر أن الظلام يشبه حفرة لا قاع لها. كلما نظرت إليه، سقطت أكثر." ابتسم ابتسامة حزينة وقال: "وأنا أخشى الفشل، وكأنني أمشي فوق زجاج هش، وأي خطوة خاطئة ستكسر كل شيء، يبدو أننا نتشارك في شيءٍ ما." اقترح أدم أن يساعدا بعضهما في مواجهة مخاوفهما، كان يعرف أن مواجهة الخوف وحده تشبه العراك مع طواحين الهواء، وافقت روزلين بتردد. بدأ آدم بأخذ روزلين في نزهات ليلية قصيرة، كان الظلام كثيفًا كأنه عباءة سوداء تبتلع الأنفاس. في البداية، كانت تمسك بمصباح صغير، ويداها ترتعشان، بينما كانت خطواتها

على الأرض تشبه صوت قلبها المرتجف، قال لها آدم: هل تسمعين هذا الصوت؟

أجابت بخوف: "ما الصوت؟"

ابتسم وقال: الرياح وهي تعزف بين أغصان الشجر، الظلام يخفي موسيقى لا نسمعها إلا إذا أصغينا جيدًا، انظري إلى السماء، هذه النجوم كانت هناك دائمًا، لكننا لا نراها إلا في الظلام.

شيئًا فشيئًا، بدأت روزلين تلاحظ الجمال الخفي في الليل، وبدأ قلبها يهدأ.. في المقابل، ساعدت روزلين أدم في عرض أعماله. رتبت معرضًا صغيرًا أمام ورشته وأخبرته: الخوف من الرفض لا يجب أن يمنعك من المحاولة. سأكون هنا لدعمك.

عندما جاء الزبائن لرؤية الأثاث، كان أدم يشعر بتوتر شديد، كأنه أب يراقب ابنه وهو يخوض أول معركة، لكن رؤية إعجاب الناس بتصاميمه ملأت قلبه بالثقة، واجه الاثنان تحديات أثناء رحلتهما. روزلين، في إحدى النزهات الليلية، تعثرت وسقطت في الأرض الموحلة، بدأ قلبها ينبض كطبول حرب أعاد لها موجة من الخوف. جلست على الأرض تبكي وقالت: لا أستطيع.

الظلام أقوى مني، جلس أدم بجانبها وقال: الخوف مثل الظلام كلما واجهناه ضعُف أمامنا، أنتِ أقوى مما تظنين!

أما أدم، فقد تلقى تعليقًا سلبيًا على أحد تصاميمه من زبون مهم. عاد إلى الورشة محطمًا، كأن الريح اقتلعت شجرة أحلامه زارته روزلين، وجدته يجلس في الظلام، يحدق في تصميم غير مكتمل. قالت له: الفشل جزء من الرحلة إنه يُعدّك للنجاح، هل ستدع تعليقًا واحدًا يوقفك؟ أدرك أدم أنه بحاجة للمثابرة، تمامًا كما فعلت روزلين، أمسك قلم الرسم بقوة، وكأن كلماتها كانت الشعلة التي أعادت النور إلى أفكاره.. في يوم افتتاح معرض أدم الكبير في البلدة، كان يشعر بخوفٍ شديد. تذكّر كلمات روزلين وشجاعتها، فقرر مواجهة مخاوفه. وقف في منتصف المعرض، يشرح تصميماته بحماس. فوجئ بحضور كبير وإعجاب الناس بعمل، أما روزلين، فقد قررت مواجهة الظلام بشكل كامل. في تلك الليلة، أطفأت جميع الأضواء وجلست وحدها في الغرفة. بدأت تتأمل السكون، وأدركت أن الظلام لم يعد يخيفها كما كان من قبل، اجتمع الاثنان على تلٍّ صغير يطل على البلدة. نظرا إلى النجوم المتلألئة، وتحدثا عن رحلتهما. قالت روزلين: الظلام ليس

سوى طريق آخر نحو النور.. وأضاف أدم: والفشل ليس سوى بداية جديدة للنجاح.. رحم الله إنسانًا واجه مخاوفه بشجاعة، فهزمها.. منذُ طفولتي، أعتدت الأحلام والأمنيات ورسم مستقبل زاهر ولم أعتد التخلي عنها، ف أوجاع الماضي أو تهديدات الحاضر أو تصورات المستقبل هي المعنى الحرفي للمخاوف:

م: متاهة

خ: خيال

ا: أسرفت

و: وعودك

ف: فيها

وعند جمع كلمة "مخاوف" تصبح "متاهة خيال أسرفت وعودك فيها فتهت" ألا وهي وعودك لنفسك في كل مرة يستبيحك الشبح الأسود ليعربد بين جنبات روحك نافث سمومه فيها تحت مسمى الخوف، لكن الخوف يحكم قبضته لعنقك لتسقط في أعماق اليأس، ولا شيء ينتشلك سوى ريشة بيضاء ناعمة تمتد لتلامس أعمق نقاط روحك، تسمى "إيمانك بنفسك"، لتدب الحياة في أوصالك من جديد وتثمل من غمرة الإحساس بشراب يدعى

"بلسمي"، بل سمي، هنا تبدأ رحلتك نحو القمة من جديد بثبات ويقين أن الأيمان بالنفس هو مفتاح لكل أبواب النصر، هل تسأل نفسك من هذه؟ أنا من نقشت الخطوب على روحها ألف آه، ورمتها في الأزقة المجهولة. احتسيت مرارة الخيبات رغم أنفي، وجندتني الغربة في صفوفها لأجل غير مسمى دون وعد بالعودة، فصنعت لنفسي عالمًا متفردًا دمر ضعفي لأنهض كالعنقاء من تحت رمادها بعد احتراقها لتحيا من جديد، نهضت من تحت ركام الفشل أناضل في سبيل أهدافي، صقلتني التجارب الأليمة لتخبرني أن ما بعد المنع عطاء ومنح، ينبغي مني أن أسعى بحثًا عنه. مازال المجتمع يحاربني بشتى أسلحته وأنا صامدة، آبية الانصياع رغم تأرجحي بين جحيم الماضي وجنة المستقبل. لكنني أتزود من واقعي ليعينني على البقاء رغم كوابيسه لتضعف رغبتي وتحطمني وسادات الحياة التي ظنتها سبيل راحة لي، لربما لاحقتني تعويذة ما لتكون الحاجز الوهمي بيني وبين تجاوز مخاوفي. أعلم أنها خزعبلات خرافية، ولكن لعلها تطفئ نيران قلبي، ويال قبح أن ترى حلمك يدنو منك مبتعدًا، وكأنك سقم ما منك علاج أفيك الداء أم فيه؟ أو أنه سحر لا ريب فيه؟ أو أن

الممنوع منه راغب فيه؟ يا للعجب من هذا الزمان حين يأخذ بأيدينا إلى طرق لم نحلم بها، فنمضي ونحن مثقلون بالدهشة والخوف، تتعثر خطواتنا وتتساءل قلوبنا: أهذا هو الطريق الذي كُتب لنا؟ ومع كل تعثر، يهمس لنا القدر: اصبروا، فما وراء هذا المسير حكمة لا تراها أعينكم الآن. وعندما نصل، نكتشف أن تلك الطرق التي بدت لنا غريبة كانت تحمل بين طياتها هدية مخبأة، هدية تغيّرنا وتعيد تشكيل أرواحنا. فنحمد الله على كل تغيير، وندرك أن كل ما ظنناه ضياعًا كان في الحقيقة تقويمًا واستقامة لمسارنا، أتساءل أي عوض سينبت من جذور هذه الجروح؟ وأي طمأنينة ستغمر القلب بعد هذا الألم؟ أي عوض سيمحو ندوبًا طال أنينها، ويبدد ظلام الذكريات السيئة والأيام المتعبة؟ أي عوض سيلف الروح المرتجفة بأمانٍ لم تعهده من قبل، ويربت على أوجاعها حتى تبرأ؟ "**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**" أليس الله الذي وعد باليسر بعد العسر، قادرًا على أن يمحو ما كان ويجعل بعد الضيق فرجًا؟ أي عوض سيأتي، إلا ما يليق بجبر الكريم، الذي إذا أعطى أدهش، وإذا جبر أشفى؟ سيزول كل شيء تمر به الآن، سيمضي الوقت،

وسيعيد الله ترتيب حياتك وجبر روحك المكسورة. سيعيد إليك نفسك التي أضعتها في دوامة الأيام، وسيجمع فتات قلبك الذي تناثر على الطرقات التي سلكتها وعُدت منها خائبًا، الله يعلم، يعلم عن لياليك التي تقضيها بالبكاء، وعن حزنك الذي تحاول أن تخفيه تحت غطائك. يعلم أنك تنام بقلب مثقل وتستيقظ بكل شجاعة، تمضي في يومك وكأنك لم تُهزم بالأمس. عليك أن تلملم شتاتك بنفسك، فالحياة ليست دائمًا رحيمة ولا سهلة، وفي لحظات الضعف والتعب، لا يجد الإنسان يدًا تمتد له سوى يديه. في كل مرة تسقط فيها، عليك أن تنهض من جديد، حتى وإن كانت الجراح عميقة، والروح مثقلة بالألم. في تلك اللحظات، أعلم أن السقوط ليس خيارًا، بل هو جزء من الرحلة، ولكن القلب، مهما كان مثقلًا بالحزن، يمتلك قدرة عجيبة على النهوض، مهما كانت العواصف شديدة، مهما كانت الأرض قاسية، واهتزت تحت أقدامك يبقى هناك في داخلك نور لا ينطفئ، أمل لا يموت، وإرادة لا تقهر، أنت الأقوى حين تقف أمام نفسك، وتعيد ترتيب شتات روحك، لأنك وحدك من يمتلك القدرة على أن تكتب قصتك، وأن تجد طريقك وسط الظلام.. يومًا ما، وأوقن أنه ليس

ببعيد، سيصبح الماضي مجرد ذرات منثورة على رف النسيان، تستلقي بين ثنايا الذاكرة تنتظرني لأنفضها حتى تختلط مع ذرات الهواء لتصنع لي مكافأة، سلمًا أصعد به نحو القمة، لأكون جارة القمر، ألتقط نجمة وأنقش عليها إنجازاتي وأضحك، ضحكة من أهدى نفسه القوة والعزم.

•‹(بيان محمد حسن)›•

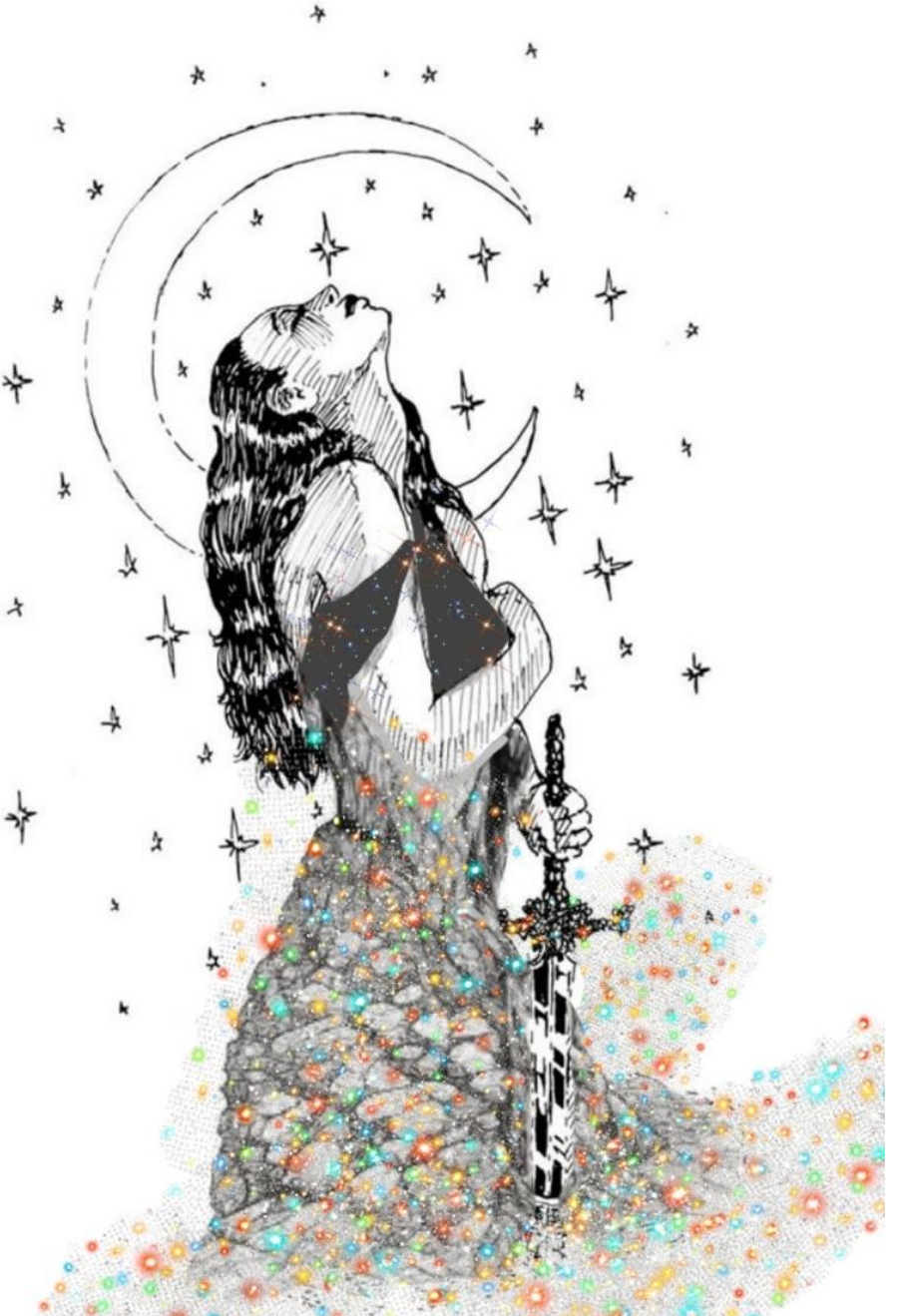

لا تَخف

قيلَ أنَّ: المرءِ ألدَّ أعداءَ نفسِه، فتراهُ يقتلُها بالخوفِ، بتحميلها مالا تُطيق، بالسَّعي في ديارٍ ليسَت دياره، أما أنا فأقول: أكثرَ ما يقتلُ بِهِ المرءُ نفسَه (الخوف) ولكن ليس أيَّ خَوف، "يُقال: أن الخوفَ الفاصِلَ بين العقلِ والجُنون، فَترى العاقِلَ يخافُ خوفَ الحِرص، وتَرى المَجنون يُلقي بجسدِه في النَّار؛ ليتدفَّأ وهنا تأتي منطقيَّة الخَوف من عَدمِه"، لأعود الآن للخوف الذي أقصدُه، فأنا أرى أنَّ كلَّ المخاوفِ منطقيَّة، عدا تلكَ التي حدوثها يقعُ فَقط في عقلِك لا تشبه الواقع ولا يُشبهها. مثلاً: يخافُ الصَّمتُ من الصوتِ رغم أنهم لن يلتقيان، يخافَ الفرحُ من الحزن ولن يلتقيان، يخافُ ساكن القرية من سموم المصانع.. أهذا منطقيٌّ! يخافُ الذِّئب من الجدة ، مهلاً أم كان من الحطاب، لحظة! يبدو أن كلَّ الخوفِ كاذبٌ وأن المجانين في نعيم، أتعلمُ! لا خوفَ منطقيٌّ غالبًا: الخوف من الموت يسرق متعة الحياة.. الخوف من المواجهة سيبقيك هاربًا.. الخوف من السقوط يمنعك من الركض..

لحظة!

حتى الخوف من الحب سيجعلك وحيدًا..

الخوف من الفشل يمنعك من النجاح.. يبدو أنَّ الخوفَ من أكاذيب الكائن البشري تحميه من الاتهامات والمواجهةِ وتبقيه موضع الضَّحية لا المتخاذل، فتنصره وتنال هي دور المُجرم البعيد عن المحاسبة، نعم الخوف فكرةً فتجد من يقرِّر: الهروب منها وعدم المواجهة رغم أنَّها مجردَ صوت ضعيف هو من أعطاهُ مكبِّر صوت وأبقاه يرنُّ في جمجمته الضَّعيفة المتخاذلة، رغم أنَّ الهروبَ من الفكرة الكاذبة سيسبب لصاحبها اضطرابٌ، فتراهُ متخبطًا يجري في طرقًا لا تشبهه ولا يشبهها طرقًا يؤمن أنها ليس له، لكنَّه لا يسلك طريقًا صحيحًا فقط كي لا يواجه سرابًا هو أوجده وأقنع ذاته أنه يخاف منه، ويبقى مصرًا ويتغاضى اضطرابه ليجد نفسه في جوهر: الضياع وقد بدأ يخسرُ كلَّ شيء، يتحول من خائف إلا أسير تلك الفكرة وقد تكون عدة أفكار تجعله يتيه حتى وهو على سريره في منزله، فيصلُ إلا ما لا تحمد عقباه ويحدث الذي يحدث لكلِّ الواهمين الذين يلقون

أرواحهم في نيران الخوف، الذي يحدث لمن سكنت روحه المخاوف: يضحك بشفتيه وعقله، وعقله يدوي في مغارات الحزن، يفشل خوفاً من نجاحٍ قد لا يكتمل، يتألم خوفًا من مرضٍ قد يصيبه، يفرح فرحًا كاذبًا خوفًا من حزنٍ قد يطرق الباب، لو ذكرت ما تفقده وأنت عالقٌ بالخوف وأنت تعاندُ على احتمالاتِ نسبة حُدوثها لا تتجاوز الواحد بالمئة، على أشياءٍ وضعتَ قلبَك بها رغم أنها ليست لك، على عمرٍ كدرت به نفسك وكأنك استكثرته على نفسك، لمُتَّ قهرًا.. أتعلم حتى لو لم أذكر لك أنا، استمر خائفًا وستأكل الحياة قلبك رويدًا رويدًا لترى نفسك صفر اليدين بعد أن تفهم ان الخوف الذي يبقيك عاجزًا هو خوف تربى على يديك، قد تحسب انها مجرد افكار اتلوها عليك لكن الحقيقة انها تنبع من تجربة استمرّت معي سنوات، لا خوف حقيقي ها أنا اجلس اليوم بدون الحاجة له ولا أتذكره اشرب القهوة بلا سكر كما كان يشربها وابتسم وانا تلك التي كانت تبكي إذا خال لها ان تشرب القهوة بلا صوته، ها أنا اسهر طوال الليل على صفحات وكتب وروايات وانا التي خفت من ليل لا ينيره وجهه، ها أنا اعيش والهو والعب وانا التي لا طالما ارتعبت من فكرة غيابة

وظننت انني اموت إذا رحل، بعد ان يحدث ما تخاف منه سَتدرك انه كان عاديًا وانت من وضعت له هيبة تجعلك ترتجف.

•›⟨ سلسبيل حمدان ⟩‹•

عدوك الدّاخلي يحتاج إلى نور المواجهة

الخوف... تلك الكلمة الصغيرة التي تحمل في طياتها عالمًا بأسره، ما الخوف بنظرك؟ هل هو الشعور الذي نشعر به في الظلام؟ أم تلك الرجفة التي تسبق الامتحان؟ أم تسارع نبضات قلبك واحمرار وجهك، وذلك التوتر الذي يطغى عليك حين تلقي كلمة أمام جمهور؟ إنه الظل الذي يتبعك بصمت، يتغلغل في أعماقك، ويزرع جذوره في لحظات ضعفك. أحيانًا يظهر كرجفة خفيفة في لحظة معينة من الزمن، وأحيانًا أخرى كقيد غير مرئي يشلّ خطاك، الخوف ليس مجرد شعور؛ إنه عدو داخلي، ينمو بخفاء داخل عقلك، يتغذى على شكوكك، ويتكاثر مع كل خطوة تتردد في اتخاذها. هو الحاجز بينك وبين أحلامك، إنه السجن الذي تبنيه طوبة بطوبة من قرارات لم تُتخذ، وفرص لم تُغتنم، وكلمات لم تُقل. لكن الغريب في هذا السجن أن بابه مفتوح دائمًا، والمفتاح بيدك أنت وحدك، من يستطيع الخروج، كنتُ أسيرة لهذا العدو لسنوات طويلة، عشت في ظله، أخاف أن أفتح نافذتي على العالم خوفًا من أن يتسلل إليه نور الحقيقة. كل شيء كان يوحي بالخوف: الظلام الذي يبتلع الغرفة ليلاً، نبضات قلبي

المتسارعة حين أقف أمام الآخرين، والأفكار التي تهمس في عقلي باستمرار وكأنها طنين نحلة يزداد كلما حاولت التقدم: "لا تفعل، ستفشل."

في إحدى ليالي أيلول الباردة، حيث تتساقط أوراق الأشجار كأنها تخبرني أن كل شيء جميل قد يذبل، كنت أجلس في غرفتي غافلة عن ظلام الليل الذي زحف بهدوء، كعادته، يحمل معه كوابيس الطفولة التي اعتادت أن ترافقني كضيف ثقيل لا يُغادر. بمجرد أن أُغلق عيني، كنت أجد نفسي في صحراء لا نهاية لها، عاصفة رملية تبتلع الزمن من حولي. أينما التفت أجد كائنات غريبة تطاردني، لم يكن هذا الظلام مجرد ظاهرة طبيعية؛ كان مرآة تعكس خوفي الداخلي. كان صوتًا خافتًا يهمس لي: "الهروب هو الحل الأسلم"، والجميل أني في كل مرة كنت أصدق. خوفٌ جرّ خوفًا، حتى لم يعد الظلام هو الشيء الوحيد الذي أخشاه، وإنما كان البداية فقط. أصبحت أخاف من الناس، الكلمات، حتى أصبحت أخاف من نفسي.

أتذكر ذلك اليوم كأنه كان بالأمس، وقفت أمام زملائي في إحدى المحاضرات وقد حان دوري لتقديم عرض دراسي لا يتجاوز

العشرين دقيقة، وقفت محاطةً بأعين ترقبني وكأنها سهام تنتظر الانطلاق باتجاهي. حاولت النطق، لكن الكلمات خذلتني. صوتي يتهدج، وقلبي يكاد يخرج من صدري. شعرت أن الأرض تبتلعني، وأن الوقت توقف ليُطيل عذابي، استسلمت وهربت كالمعتاد، لكن الخوف لم ينتهِ. خرجتُ مسرعة، وعيني ممتلئة بالدموع.. لقد انتهى العرض، "كثيرٌ من حالات الفشل في الحياة كانت لأشخاص لم يدركوا كم كانوا قريبين من النجاح عندما أقدموا على الاستسلام"، في ذلك اليوم أدركت أن الخوف ليس مجرد إحساس عابر، بل إنه وحش يتغذى على ضعفنا ويكبر مع كل مرة نهرب فيها منه..

عدتُ إلى غرفتي تلك الليلة وفي قلبي قرار: لن أكون أسيرة للخوف بعد الآن. أغلقت بابي، وأحضرت ورقة وقلمًا، وبدأت في كتابة أسئلتي:

- ما الذي أخشاه؟
- لماذا أخاف؟
- ماذا سيحدث إذا واجهت هذا الخوف؟
- وماذا سيحدث إذ لم أواجهه أبدًا؟

بدأتُ أُفرّغ ما في داخلي على الورق. كان الأمر كأنني أنزع أحجار السجن الذي بنيته بنفسي. وعندما نظرت إلى إجاباتي، رأيت الحقيقة واضحة أمامي، لم تحتج سوى نور المواجهة: الخوف ليس سوى وهم أنا من بنيته، وأنا وحدي من أستطيع هدمه. الألم الناتج عن الفشل كان أقل بكثير من الندم الناتج عن عدم المحاولة.

ولادة جديدة:

قررت أن أبدأ مواجهتي للخوف بأبسط الطرق (التدريج)، كنت أخشى التحدث أمام الآخرين، لذا بدأت بالحديث أمام المرآة. كانت الكلمات ترتعش، لكن شيئًا فشيئًا بدأت أعتاد صوتي. ثم انتقلت إلى التحدث أمام صديقاتي، ثم أمام مجموعات صغيرة. كنت أخطئ أحيانًا، أرتبك أحيانًا أخرى، لكنني لم أتوقف، ومع كل مرة أقف فيها وأتحدث، كنت أشعر بشيء يتغير داخلي، كأنني أنزع عن روحي غطاءً ثقيلاً، وأكشف عن نور لم أكن أعلم بوجوده، الخوف ليس عدوًا يُقتَل بضربة واحدة. إنه معركة مستمرة، خطوة بعد خطوة، قرار بعد قرار، وفي كل مرة تواجهه،

تكتشف أنك أقوى مما كنت تعتقد.. الخوف كظلٍّ تحت النور الخوف، تمامًا كالظل، لا يعيش إلا في الظلام، لكنه ينهار أمام نور المواجهة. ليس عليك أن تقتله دفعة واحدة، بل كل ما عليك فعله أن تضعه تحت الضوء، ثم تراقب كيف يتلاشى شيئًا فشيئًا. أيقنت أن كل مخاوفي كانت مجرد أكاذيب كالسراب الذي يلوح في الأفق ويختفي عند الاقتراب منه:

- **خوفي من رأي الآخرين كان مجرد وهم، فالناس لا يهتمون بقدر ما أتصور.**
- **خوفي من الفشل كان يحميني من التجربة، لكنه أيضًا يحرمني من النجاح.**
- **خوفي من الظلام لم يكن إلا خوفًا من المجهول.**

اليوم، وأنا في الرابعة والعشرين من عمري، أقف بإرادتي الحرة في قاعة مزدحمة. محاطة بوجوه زملائي، أساتذتي، وحتى بعض الغرباء، وقفت بثبات. كان الصوت الذي خرج مني متزنًا، مليئًا بالوضوح والإصرار، ما إن انتهيت، حتى عمّ التصفيق القاعة، وكأن اللحظة كانت تنتظرني طوال هذا الوقت لأصل إليها..

ختامًا:

الخوف ليس عدوًا خارجيًا، بل هو جزء منك، لكنه جزء ضعيف، يعتمد عليك ليبقى حيًا. واجهه، انظر في عينيه، وستكتشف أنه ليس سوى وهم، كما اكتشفت أنا.

تذكر: الحياة تبدأ حيث ينتهي الخوف. كن شجاعًا، واصنع قصتك.

•‹(رانيا حسن نصيرات)›•

نبضة أمل

في مساءٍ دافئ وسط حديقة الجامعة، جلست آية إلى جانبه، تشعر وكأنها أخيرًا عثرت على شريك روحها. كان يحمل في يده اليسرى كتابًا لمحمود درويش، وفي اليمنى سيجارة إلكترونية.

كان صوته عميقًا وهو يقرأ:

"وأحبكِ لأنكِ متعبة، ولأني متعب..."

راقبت آية ملامحه بحذر المحبّ الذي يحفظ كل تفاصيل من يحب. لقد كان العالم حينها صغيرًا بما يكفي ليضمّهما معًا فقط.

تبادلا أحاديث عن الحياة، الطموحات، والأحلام. قال لها وهو يبتسم:

"في أول مرة رأيتكِ، كنتِ تساعدين تلك السيدة المسنّة. تملكين قلبًا يسع العالم. أتساءل، كيف ستعاملين من تحبين؟"

ضحكت، وعيناها تلمعان:

"بالحب الذي يستحقه."

لكنه لم يكن يعلم أن الحب الذي تمنحه آية كان من النوع الذي يتشبث، الذي يعطي بلا حدود، الذي ينكسر بعمق ولكنه لا يستسلم بسهولة

مرت الأيام، وتبدلت المشاعر. لاحظت آية تغيره. كانت كلماته تفقد حرارتها، ونظراته تغيب بعيدًا عنها. حاولت أن تسأل:

"ما الذي تغير؟ هل أنا السبب؟"

لكنه أجاب ببرود:

"لا شيء. فقط الحياة تأخذنا."

في إحدى زياراتها المفاجئة إلى مكتبه، لم تجد انتظارًا سعيدًا كما اعتادت. لم تكن هناك الورود ولا القهوة الساخنة. كان هناك فقط الصمت، وكلمات قاسية:

"لا تظهري دون موعد. هناك حدود يا آية."

كانت صدمتها كجرح ينزف بلا توقف.

قالت، ودموعها تخون قوتها:

"حدود؟ ألم أكن أنا العالم الذي كنت تقول إنك تعيش داخله؟"

لكن خيانة الكلمات كانت أهون من خيانة الأفعال. لحظة الحقيقة جاءت عندما رأت ما لم يكن يجب أن تراه: رسالة تحمل صورًا

ومحادثات مع امرأة أخرى. كانت ترتدي القميص الأبيض الذي أهدته له يوم نجاحه. شعرت وكأن قلبها يُنتزع من بين ضلوعها. في تلك الليلة، بينما كانت وحدها في غرفتها، حملت سجادتها وصاحت في صلاتها:

"اللهم إن كان حبه شرًا لي، فانزعه من قلبي كما تنزع الروح من الجسد."

كانت تلك اللحظة بداية التحرر، حيث أدركت أن الحب لا يكفي إذا كان من طرف واحد.

عادت إلى نفسها، إلى أحلامها التي تركتها خلف الحب الزائف. بدأت تُرمم ذاتها بحروفها التي كانت تكتبها منذ الصغر. أمضت الليالي ترسم صورًا جديدة لحياتها دون وجوده.

تذكرت وعدًا قديمًا لوالدها الراحل: أن تكتب كتابًا يحمل اسمها. كان ذلك الوعد هو النور الذي أضاء دربها. كتبت أول نص لها بعد الانفصال، وكان عنوانه:

"إلى القلب الذي ظن أن الحب خذلان... ما تركك لم يحطمك، بل حررك."

أصبحت آية رمزًا للقوة والصبر. احتضنت حياتها من جديد، وعاشت لتكون أفضل نسخة من نفسها. لم يعد الخذلان شبحًا يطاردها، بل أصبح درسًا يروي شجاعتها.

اليوم، تعلمت أن الحب ليس نهاية الطريق، وأن كسر القلب ليس إلا بابًا إلى بدايات جديدة. خذلانك لم يكن خسارتي، بل كان ولادةً أخرى لي."

حين نعيش الحب الصادق ونتعرض للخيانة، نكتشف أن ما نحمله في قلوبنا أعظم من أن ينهزم. الحب الحقيقي يبدأ بالحب الذي نقدمه لأنفسنا، والتمكين يبدأ عندما ننهض ونختار الحياة من جديد.

وأتمنى لكل من قرأ كلماتي أن يدرك أن الحياة لا تتوقف عند عاصفة حبٍ عابرة أو خيبة أمل مفاجئة أو أي تجربة قاسية. نعم، لكلٍ منا ذكريات جميلة منحته الحياة إياها، لكن الرياح التي تهب على عالمنا ليست سوى دعوة خفية للوقوف أقوى وأصلب. اصنعوا من ألمكم وقودًا لطموحاتكم، وحوّلوا كل إخفاق إلى درجة ترتقون بها نحو النجاح.

كونوا السند لأنفسكم؛ لا أحد ضعيف بقدر ما يعتقد. داخل كل واحد منا جانب مشرق ينتظر لحظة الانطلاق نحو إنجازات لا تعرف التوقف. قد تكون الرياح أحيانًا قاسية، لكنّها تصقل أرواحنا وتجعلنا أشدّ عزيمة.

•‹⟨ آية راتب عبيد ⟩›•

رساله من مجهول

جلست تلك السيدة، وبعض الاضطراب يظهر على وجهها، والمخاوف في حركة عينها. تفرك يديها ببعض الاضطراب، مع أنها دومًا تتحرك وتعمل بجد ونشاط، ومحبوبة من الجميع. كانت تظن أن لا شيء ينقصها، فقط أكرمها الله بأولاد وبيت صغير دافئ وزوج، كما الرجال، يثور فترة ويرضى فترة، وهكذا تسير الحياة مع الصورة الخارجية الجميلة.

جاءتها رسالة من شخص مجهول مكتوبٌ عليها: "أنتِ يا من تقرئين هذه الرسالة، ستموتين بعد عام. أتمنى لكِ عامًا جديدًا كله بركة وخير وسعادة ." فقفلت تلك الرسالة بيديها وجاءتها الأفكار، عام واحد، أي ثلاثمئة وخمسة وستون يومًا بالكمال والتمام. أخذت نفسًا عميقًا وقالت: "يا ساتر، ما هذا؟ هل آخذها على محمل الجد، أم أتجاهل هذه الورقة وكأن الريح أتى بها بالصدفة في طريقها أمام عتبة البيت؟ أم هي رسالة من الله عز وجل وتنبيه؟"

فقالت: "سأخذ الموضوع بجد، ولكن بدون هلع وخوف. أولًا، سأرتب أولوياتي. ما الأهم عندي؟ أولادي، لا، بل عباداتي، فواجباتي، وأعمالي الصغيرة... لا، لن أجلس بهذه الحيرة."

وضعت برنامجًا لتماسك الأمور المنفلتة منها، ومع ذلك، قطرت بعض الدموع من عينيها. هل بعد عام لن أرى أولادي وهذا البيت وتلك المزروعات وهذه الحياة البسيطة الجميلة؟ مع أنني كنت أشكو أن حياتي صعبة، فأصبحت أرى الجمال بهذه الحياة وهذا المكان وللناس من حولها.

أولادي، عندما كنتم حولي، اجلس قليلًا معكم ،ثم أنشغل ببعض الأعمال، ثم تذهبون. وأقول بنفسي: "فوالله، لم أشبع من شوفتكم."

فتجيب نفسها: "لماذا؟ فهم كانوا عندك وأنت منشغلة عنهم. إذًا سوف أعطيهم وقتًا أكبر وحبًا أكثر حتى أشبع منهم."

وهذا الزوج، دومًا على صراع من المحق ومن يفهم أكثر، وكأننا في ساحة حرب. سوف أرمي أسلحتي في النهر وأعطيه الثقة بأنه يقدر أن يقوم بأعماله الواجبة عليه دون تدخل مني، لأنني أصبحت لا أريد الكمال والتمام في كل شيء.

وأعمالي، عندما أعطي لكل شيء وقتًا محددًا وانجز ولو ثلثين العمل، يكفي. فهذا لن يضر كثيرًا. وبذلك الوقت المتبقي، أعطيه لنفسي من اهتمام بها. آه، يا نَفسي، كم أنا مهمل بها. فلا أهتم بمشاعرها ولا احتياجاتها. بدأت بالاهتمام الخارجي لها والداخلي، في سلام وسكينة وحب لكل جزءٍ مني. ولا أحد يشكر ويظهر عليه الاهتمام أكثر من نفسه، فأنها ترد لكِ الجميل على الفور حتى لو غيرتي تسريحة شعرك تظهر الفرق،

وروحانياتي زادت، وعباداتي. ولله الحمد دومًا نشكره ونحمده.

ومرت الأيام على هذا الحال، وكانت في سعادة وتقدم، ومضى هذا العام، وبدأ العام الجديد. وفي ليلة رأس السنة والاحتفالات قائمة، تذكرت تلك الرسالة، فهرولت إلى المطبخ وبحثت عن الرسالة، فوجدتها في إحدى فناجين القهوة التي لا استخدمها. عندما فتحتها، وجدت بقعة ماء كبيرة عليها، ومسحت بعض الكلمات، فما بقي منها سوى: "أنت يا من تقرئين هذه الرسالة، أتمنى لكِ عامًا جديدًا كله بركة و خير وسعادة."

فشعرت أنها كانت تلك مخاوفها من الفقد، من الأم والأب منذ الصغر، لأنها عاشت هذا، فلم تكن تحب أن يتعلق بها أولادها كثيرًا، حتى لا يتألموا لو فقدوها يومًا ما.

فقالت: "الحمد لله، ذلك كان امتحانًا لي كي أعيش السعادة في بيتي ومع اولادي وزوجي في طاعة الله ورضاه فقتل تلك المخاوف سيحييها بسعادةٍ وسلام.

•‹(ختام القيسي)›•

تدور وندور

تدور وندور، تدور ببالي الأفكار والاحاديث، بعضها يكون إيجابيًا، وبعضها يأخذني في عالم البؤس والاكتئاب. تشعرني وكأنني في غرفة مغلقة مظلمة فارغة.

عندما تخطر ببالي فكرة سيئة، تسقط على الأرض بجانبي وكأنها صخرة. فكرة ثم فكرة، وعندما تتجمع هذه الأفكار، تصبح كالدَوّامة في مكان مغلق، تأخذني معها. هي تدور وأنا أدور داخلها، وتلك الأفكار تصفعني مرارًا على خدي وأخرى في رأسي، وترتطم بكامل جسدي، تشعرني بالتوعك والتكسير.

أخذ أفكر، كيف أنقذ نفسي من هذا؟ ما هذه الأفكار إلا أوهام ومخاوف. لماذا أفكر بها وأجعلها تحاصرني؟ تحاصرني من الداخل والخارج، وتؤثر في مستقبلي وقراراتي.

هذه الأفكار تشبه قصة فتاة صغيرة عائدة من البقالة، تتمختر فرحًا وتحمل بيدها كيسًا مملوءًا بالحلوى. أثناء عودتها، تسمع صوت كلب من دون الالتفات خلفها، تبدأ تبني الأوهام: "إنه يركض خلفي، سيعضني أنيابه الحادة، إنه أسرع مني، سيعضني

بقدمي، لا أستطيع مواجهته." فتبدأ بالصراخ والجري من دون وعي، ترمي كل شيء بيدها، تتجه نحو الطريق المعاكس لبيتها، لتصل إلى مجموعة نساء تَرَمي نفسها على ركبها وتنهار من البكاء. تَلتفت خلفها، لا شيء وراءها، ثم تنظر للنساء وهن متعجبات: "ما الذي حصل لهذه الفتاة؟" حينها أدركت بأن لا شيء يلاحقها سوى أوهامها.

موقف الطفلة والخوف الذي شعرت به كان من مخيلتها. نعم، يوجد كلب، ولكن الخوف كان من الأفكار التي تدور برأسها. ونحن هكذا، يوجد مواقف تتطلب منا الخوف، ولكن المبالغة بالتفكير بها قد يجعلك تخسر، تخسر فكرة أو مشروعًا أو شخصًا، أو ممكن الأشياء التي تحبها، كما فعل صوت الكلاب بالفتاة، خسرت الحلوى التي فرحت بها.

من جديد، أصبحت أتوقف عند كل فكرة سيئة وأسأل: "هل هذه الفكرة سيئة أم أنا أبالغ فيها؟ هل أنا أخذت الشيء السلبي منها؟" التأمل بكل فكرة، حتى لو كانت مؤلمة، ابحث عن الإيجابي فيها. كفكرة الخوف من الموت، من منا لا يخاف الموت ويهابه، لكنه واقعي وحقيقي، وكل نفس ذائقة الموت. ليس هناك إنسان مخلد

للأبد، لذلك لماذا لا نستمتع بهذه الحياة ونعيشها بكل تفاصيلها؟ فكرة الموت جعلتني أتقرب إلى الله وأفكر بلقائه بأجمل خلق للفوز بجناته التي وعدنا بها، إن شاء الله.

التقبل هو أساس لقتل تلك المخاوف. أتقبل كل الأفكار وأفككها، وأخذ منها الجانب المضيء. حتى فكرة تلك الغرفة المغلقة السوداء والدوامة، تقبلتها، أصبحت أرقص مع تلك الأفكار واحضنتها واحدة تلو الأخرى، حتى سقطت جميعها على الأرض، وشكلت درَجًا عاليًا يصل إلى شباك في أعلى الغرفة. أرى من خلالها الشمس والسماء والأمل.

•‹› نوره أبو غنمي ‹›•

غزة.. حين بُعثت من الرماد

كانت المدينةُ حلمًا على ضفافِ المتوسط، تَروي حكايات الأولين، وترسمُ في الرملِ أسماء من مرّوا، ولم يرحلوا حقًا، كانت الشوارعُ تضجُّ بحياةٍ قديمة متجددة، والمآذن تحكي قصص الأنبياء، فيما الأزقةُ تنسابُ بين البيوت كأنها وديانُ ذاكرةٍ لا تُمحى.

لكن في السابع من أكتوبر، تبدّلَ وجهُ الأرض، وصار لليلِ ألفُ عينٍ تراقبُ غزةَ من السماء، لم يعد البحرُ كما كان، ولا الشوارعُ كما عُرفت، ولم تعد السماءُ مكانًا للنجوم، بل صارت لهيبًا يسقطُ كالمطر.

من بين الدمارِ، ستولدُ الحكاية..

من بين النيرانِ، سيُروى المجد..

ومن قلب الألمِ، سيُكتبُ الخلود..

هذه ليست قصة حربٍ فقط، بل قصةُ مدينةٍ أبت أن تموت.

في فجر السابع من أكتوبر، استيقظت غزةُ على صوتٍ غريب، لم يكن صوتَ البحرِ الذي يلامسُ شواطِئها، ولا همسَ الريح التي تداعبُ أشجارَ الزيتون،

بل كان هديرًا يُشبه زئير الوحوش الجائعة.

في بيت صغير بحي الشجاعية، كانت أمّ ياسر تُعدّ فطورًا متواضعًا، تضع الخبز الساخن أمام أبنائها، وتصبُّ الشاي في أكوابٍ صمدت رغم القصف المتكرر في الأعوام الماضية، نظر إليها ياسر، ابنها الأكبر ذو السبعة عشر عامًا، وقال مبتسمًا:

– أمي، هل تعلمين؟ اليوم أشعر بشيءٍ مختلف، كأن السماءَ تخبّئ سرًا لم يُكشف بعد.

ضحكت أم ياسر، وهي ترتّب حجابها:

= أنت شاعرٌ صغيرٌ يا بنيّ، لكن دعك من السماء الآن، وركّز في طعامك، لا نريد أن تتأخر على دروسك.

لكن ياسر لم يعرف أن هذا الفجرَ سيكون الدرسَ الأعظمَ في حياته، وأن المدينةَ على وشك أن تُلقي بأبنائها في اختبارِ الخلود.

في مكانٍ آخر، كان أبو محمد، الرجل الستينيّ، يقف أمام دكانه الصغير في شارع الوحدة، يُرتّب صناديق الخضار بينما يتبادلُ التحية مع المارّين، كان يشعر أن اليومَ سيكون مختلفًا، لكنه لم يكن يعرفُ أنه لن يعودَ إلى بيته تلك الليلة، وأن متجره، الذي

كان ملاذًا لأهل الحيّ منذ عقود، سيُسحق تحت أطنانٍ من الإسمنت بعد ساعات.

ثم جاء الصوت..

أولُ صاروخٍ مزّقَ السماء، ثم آخر، ثم ثالث.

تزلزلت غزةُ كما لو أن يدًا عملاقة هوت على قلبها، وكأن البحرَ حاول أن يبتلعَ الشاطئ، لكنه تراجع خائفًا، في لحظات، تحوّلت الشوارع إلى بركٍ من الدخان، وصار الركامُ شاهقًا كأنه بناياتٌ جديدة بُنيت من الموت.

ركضَ ياسرُ إلى النافذة، رأى الحيَّ يشتعل، ورأى الجيران يصرخون، ورأى السماءَ تفترسُ البيوت، التفتَ إلى أمّه، فرأى في عينيها دموعًا لم تكن للحزن، بل للمعرفة؛ معرفةِ أن هذا اليومَ ليس كغيره، وأن شيئًا عظيمًا بدأ، ولن ينتهي بسهولة.

من بين الدخان، ظهرت الطائراتُ كأنها طيورُ خرابٍ تبحث عن حياةٍ لتقتلها، كانت غزةُ كلها تموجُ بين الرعبِ والصمود، لكنّ رغم الدمار، كان هناك صوتٌ آخر، صوتٌ لم تستطع الصواريخُ إسكاتَه.

كان صوتَ رجلٍ يصيح في مكبّرات الصوت من أحد المساجد:

- الله أكبر! حيّ على الجهاد!

ومن هنا، بدأت القصة..

لم يكن ما حدث لغزة في ذلك اليوم مجرد قصفٍ عابر، بل كان زلزالًا حقيقيًا، لا تهتزّ له الأرض فقط، بل القلوب أيضًا، في كل زاويةٍ من المدينة، كان الموت يختبئُ بين الجدران، وفي كل بيتٍ، كان الخوف يتسللُ كالريحِ الباردة، لكنه لم يكن خوفًا من النهاية؛ بل خوفًا على الأحبّة.. على الأبناء.. على الذكريات التي صارت تحت الركام!.

في أحد الأزقة الضيقة، كان أبو محمد يركضُ بلا هدفٍ واضح، قبل لحظات، كان متجره الصغير، حيث كان يبيع الخضار منذ عشرين عامًا، قائمًا في مكانه، والآن صار كومةً من الغبار، كان يشعر أنّ روحه نفسها قد انطمرت هناك تحت الحجارة.

- يا الله... يا الله... هل هذا حلمٌ أم كابوسٌ لن ينتهي؟

سمع صوته، لكنه لم يكن وحده، كان رجال الحي يركضون أيضًا، يبحثون عن ناجين، عن أي علامةِ حياةٍ تحت الأنقاض، فجأة، جاء صوتٌ من تحت الركام، صوت طفلٍ صغير يبكي:

أمييي.. أمييي...

انطلق الجميعُ نحو الصوت، بدأوا يحفرون بأيديهم، بأظافرهم، لا وقتَ للأدوات، لا وقتَ للانتظار؛ كانت غزة كلها تحفرُ بأيديها في ذلك اليوم، تُنقّبُ عن الحياة تحت الموت، ترفض أن تستسلم. وبعد دقائق، خرج الطفلُ من تحت الأنقاض، كان مغطى بالغبار، عينيه مليئتين بالخوف، لكنه كان حيًا، حمله أبو محمد بين ذراعيه كأنما يحملُ نجاة المدينة كلها، كأنما يحمل قلب غزة الذي رفض أن يتوقف عن النبض.

لكن في مكانٍ آخر، كانت المقاومةُ تستعد.

في أحد الأنفاق السرية، جلس أبو خالد، قائد إحدى المجموعات المقاتلة، يحدّق في الخرائط أمامه، كان رجالهُ من حوله، وجوههم متجهمة، لكن عيونهم مليئة بالنار.

قال أحد المقاتلين:

– **سيدي، العدو يظنّ أنه يستطيع أن يدمّرنا، لكنه لا يعلم أننا الجبال التي لا تنهار.**

ابتسم أبو خالد ابتسامةً مُتعبة:

= **هم يظنون أننا مجرد حجارة، لكننا البركانُ الذي يشتعلُ كلما داسوه.**

ثم وقف، نظر في وجوههم، وقال بصوتٍ واثق:

– إخوتي، منذ سنين ونحن نحملُ البندقية، نحفرُ الأنفاق، نستعدّ لهذه اللحظة، اليوم ليس يوم الخوف، اليوم هو يوم الوفاء لهذه الأرض، غزة ليست مجرد مدينة، إنّها روحنا، وإذا سقطت، سقطنا جميعًا، لكنّها لن تسقط؛ سنُقاتل حتى الرمق الأخير.

كان الليل قد بدأ يُسدل ستائره، لكنه لم يكن ليلًا عاديًا، بل ليلٌ يخفي تحته نارًا تنتظرُ أن تشتعل. في الصباح، ستشتعل غزة كلها، ليس بنار العدو، بل بنار المقاومة.

ماذا سيحدث بعد ذلك؟

لم يكن الصباحُ صباحًا، بل كان ساحة معركةٍ مفتوحة، كانت الطائرات تُلقي حممها كأنّما تقذفُ المدينة بلعنات السماء، فيما الأرض تتشققُ تحت الأقدام من فرط القصف، لكنّ غزة لم تنكسر، بل كانت تستعدّ لإشعال فتيل المقاومة في وجه الغُزاة.

ياسر، الفتى الذي صار رجلًا في زقاقٍ ضيقٍ بحيّ الشجاعية، كان ياسر يركضُ بلا توقف، قبل ليلة، كان مجرد شابٍ يحلم

بمستقبلٍ بسيط، والآن صار جنديًا في معركةٍ أكبر منه بعشرات السنين.

وصل إلى مقرّ المقاومة، حيث كان المقاتلون يتأهبون، رأى أبو خالد يقف وسط الغرفة، يوزّع الأوامر بصرامةٍ وهدوء، كأنما الزمن لم يترك أثره على ملامحه المتعبة.

– أريد الانضمام إليكم!

التفت إليه أبو خالد، نظر في عينيه، رأى فيهما ذلك البريق الذي لا يراه إلا في وجوه الرجال الذين قرروا ألا يخافوا الموت.

= كم عمرك يا بني؟

– سبعة عشر، لكنني أقوى من عمري، وأقوى من خوفي!

ابتسم القائد، لكنه لم يردّ مباشرةً، بدلًا من ذلك، أشار إليه أن يتبعه، عبروا ممراتٍ ضيقة تحت الأرض، حيث الأنفاق التي حفرتها غزة بأسنانها وأظافرها، ثم وصلوا إلى غرفةٍ صغيرةٍ مضاءةٍ بمصباحٍ خافت.

= هنا تبدأ المعركة يا ياسر، ليست البندقية وحدها من تصنع المقاومة، بل القلب، والإيمان، والصبر، هل لديك كل هذا؟

أومأ ياسر برأسه دون تردد، لم يكن هناك وقتٌ للتراجع، لقد حُسم الأمر. في تلك اللحظة، لم يعد ياسر فتى، بل أصبح جزءًا من الحكاية التي تُكتب بدماء الأبطال. كان اليوم الخامس للحرب أكثر الأيام قسوة، غطّى الرماد سماء المدينة، وتحولت الأزقة إلى متاهاتٍ من الركام، لكنّ العدو كان يدرك أنّ غزة ليست مدينةً تُهزم بسهولة. في مستشفى الشفاء، كان الأطباء يعملون بوجوهٍ متعبةٍ وأيدٍ مُثخنةٍ بالجروح، لكنهم لم يتوقفوا، كلّ جريحٍ كان قصةً تُحكى، وكلّ جثةٍ كانت ملحمةً تُخلّد. أذكر ذاك الطبيب عزّ الدين لولو، حيث فقد عائلته لكنه بقي مستمرًا ولم يتوقف أيضًا عن خدمة المرضى ووطنه وبقي صامدًا بقلبٍ يبكي لكنه لا وقت للانهيار آنذاك.. في زاوية المشفى، جلست أمّ ياسر تمسكُ صورة ولدها، لم تكن تعلم أين هو الآن، لكنها كانت تدرك أنه في مكانٍ ما، يقاومُ، يحفرُ اسمه في جدران التاريخ. وفي الجانب الآخر من المدينة، كان ياسر بالفعل يواجه أول اختبارٍ له. كان يقف في أحد الأزقة، ممسكًا بسلاحه، حين سمع صوتًا خلفه، استدار بسرعةٍ، فإذا بجنديٍّ إسرائيلي يتقدم نحوه، يرفع سلاحه ويصيحُ بلغةٍ غريبة.

لم يفكر ياسر، ضغط على الزناد، لم يكن الأمر كما تخيّله، الصوت كان أعلى، الشعور كان أثقل، لكنه لم يتراجع، رأى الجندي يسقط، وسمع صوته وهو يتلاشى بين أنينِ الحرب.

تنفس ياسر بصعوبة، ثم أدرك: لقد عبر الخط الفاصل بين الخوف والمواجهة، لم يعد هناك عودة. في قلب العتمة، كان رجال غزة يكتبون فصول المعركة بالنار والرصاص، كانوا يتحركون بين الأزّقة، يضربون ثم يختفون، يزرعون الرعب في قلوب المحتلين. في أحد الأنفاق، جلس أبو خالد مع رجاله، كانت وجوههم متعبة، لكن العزيمة تشتعل في أعينهم.

– **العدو يظن أننا سننهار قريبًا، لكنهم لا يعرفون من نحن.**

نهض أحد المقاتلين، كان شابًا بالكاد يبلغ العشرين، لكنّه حمل السلاح كأنّه جزءٌ منه.

= **سنقاتل حتى الرمق الأخير، يا قائد، هذه ليست معركة مدينة، هذه معركة وجود.**

هزّ أبو خالد رأسه:

– **إذن فلنُرِهم من تكون غزة.**

وفي الصباح التالي، اندلعت النيران من كل مكان، كان هذا يومًا سيكتبه التاريخ. مرت الأسابيع، والمدينة لا تزال تقف رغم الجراح، كل شارعٍ كان شاهدًا على قصة، كل منزلٍ كان يحملُ اسمًا أصبح شهيدًا أو مقاتلًا. لكنّ الفجر كان يقترب.. وفي ليلةٍ باردة، في أحد الأنفاق، وقف أبو خالد أمام رجاله، وقال بصوتٍ لم يكن كعادته:

– جاء وقت النصر.

التفتوا إليه بعيونٍ متعبة، لكنها متلهفة، كيف؟ متى؟ هل هذا ممكن؟

ابتسم القائد، ثم قال:

– هذه الأرض لا تخذلُ من قاتل لأجلها، ونحن قاتلنا، صمدنا، والآن... آن الأوان.

وفي اليوم التالي، حين أشرقت الشمس، كانت غزة لا تزال واقفة. كان النهارُ في غزة يُشبه الليل، لكنّه لم يكن مظلمًا تمامًا، بين الأنقاضِ، بين الجدرانِ المتهاوية، بين الأزقةِ التي تحوّلت إلى شظايا ذاكرة، كانت هناك قلوبٌ لا تزال تنبضُ بالحياة، لم يكن القصفُ قادرًا على قتلِ الروح، ولم تكن الطائراتُ قادرةً على محو

العزيمة من وجوه الناس. في سوقِ الشيخ رضوان، وقفَ أبو محمد، يحدّقُ في الفراغِ الذي تركه متجرُه، قبل أسبوعٍ فقط، كان المكانُ يعجُّ بالزبائن، بالأصواتِ، بالحكاياتِ الصغيرة التي تتسللُ بين المارّة كأنها أنفاسُ المدينة، أما الآن، فكلُّ شيءٍ صار رمادًا. لكنّه لم يسمحْ للحزنِ أن يكسِرَه. حملَ بعضَ الحجارةِ بيديه، وأعادَ ترتيبَ ما تبقّى من صندوقِ الطماطمِ المقلوبِ على الأرض، مرّ بجانبه شابٌّ، توقفَ لحظة، ثم سأله بدهشة:

– **ماذا تفعل يا عمّ؟ السوقُ مدمَّر، المحلُّ لم يعُد له وجود.**

نظرَ إليه أبو محمد، مسحَ العرقَ عن جبينهِ، ثم قال:

= **لا بأس، سنعيدُ كلَّ شيء.**

كان هذا وعدًا.. لا لغزة فقط، بل لكلِّ من راهنَ على موتِها.

في زاويةٍ مظلمةٍ من أحدِ الأنفاق، جلسَ ياسرُ يُراقبُ سلاحَه، منذُ أيام، لم ينمْ سوى ساعاتٍ قليلة، لكنّه لم يكنْ يشعرُ بالتعب، منذُ ضغطَ على الزنادِ لأولِ مرة، تغيَّرَ شيءٌ ما في داخله، لم يعُد الطفلَ الذي كانت أمُّه تقلقُ عليه حين يخرجُ إلى المدرسة، لم يعُد الفتى الذي يخافُ العتمة، لم يعُد ياسر الذي كان.

اقتربَ منهُ أحدُ المقاتلين، كان شابًا في العشرينات من عمره، عينيه عاصفتان، لكنَّ صوتهُ كان هادئًا.

- كيف حالُك يا ياسر؟

رفعَ رأسَه، ثم قال بصوتٍ يحملُ شيئًا من الغرابة:

= أشعرُ أنني لم أعُد أنا.

ابتسمَ المقاتلُ، ثم جلسَ بجانبه، وضعَ يدهُ على كتفه، وقال بهدوء:

- هذا طبيعيٌّ في البداية، لكن تذكَّر... نحنُ لا نُقاتلُ لأننا نُحبُّ الحرب، بل لأنّنا نُحبُّ الحياة.

أومأ ياسرُ برأسه، لم يكُن يخافُ الموت، لكنّه كان يخشى أن ينسى كيف يبدو طعمُ الحياة. وفي الخارج، كان الليلُ يتنفسُ نارًا. في صبيحةِ اليومِ العشرين للحرب، تغيّرَ كلُّ شيء. كان الطيرانُ لا يزالُ يحومُ في السماء، كطيورِ خرابٍ تبحثُ عن فريستِها الأخيرة، لكنَّ المقاومةَ لم تعُد تختبئ، خرجَ المقاتلونَ من الأنفاق، تسلَّلوا بين الأزقة، جهَّزوا كمائنَ الموتِ للغُزاة. في أحدِ الشوارع، كان أبو خالد يقفُ مع رجاله، كانت وجوههم متعبةً، لكنها كانت تحملُ شيئًا آخر، شيئًا لم يعرفه العدوُّ بعد: **الإصرار**.

رفعَ يدهُ، أشارَ لهم، فانطلقوا، في لحظات، دوَّت أصواتُ الرصاصِ، انفجرت المدرعاتُ، وبدأت معركةٌ لم يحسب لها العدوُّ حسابًا. في الجهةِ الأخرى، كان ياسرُ يركضُ بين الأنقاضِ، يختبئُ خلفَ جدارٍ مهدّم، ثم يُطلقُ النار، لم يعُد الصبيُّ الذي يخشى، بل صارَ رجلًا يعرفُ أنَّ كلَّ طلقةٍ يطلقها، هي خطوةٌ أخرى نحو الحرية. وفي ذلك اليوم، أدركَ الجميعُ أنَّ غزة لن تُهزم. مرت الأسابيع، والعدوُّ يزدادُ رعبًا، لم تعُد المقاومةُ مجردَ رجالٍ يحملون السلاح، بل صارت المدينةُ كلها جزءًا من الحرب، كان العدوُّ يظنُّ أنَّه سيقتحمُ غزة خلالَ أيام، لكنّه وجدَ نفسهُ يغرقُ فيها، كأنّما ابتلعَتهُ رمالُها. وفي إحدى المستشفيات حيث الشهداء والجرحى، منهم من تُجهل هويته، ومنهم من لا يتعرّف عليه أهله لشدة التشوهات، وآخرون أجسادًا بلا رأس أو أشلاء، ركضت إحداهنّ بين الممرات تبحث عن ابنها الّذي تّركته في البيت وخرجت لتجلب له طعامًا بعد أيامٍ من المجاعات، نظرت للممرضين بعيون تحمل بصيص أملٍ أن طفلها على قيّد الحياة، هل رأيتم طفلي يوسف؟ وبدأوا بالسؤال المعتاد أوصفيه لنا: أخبرتهم "**أبيضاني وحلو وشعره كيرلي**"، خيّم الصمتُ حينها،

لتتفاجئ أنّ يوسف أصبح جسده مفصولًا عن رأسه، وغيره الكثير الكثير من الضحايا. تنهد والده الّذي كان يعمل طبيبًا في ذاك المستشفى وقال الحمد لله، صمد رغم أنّ قلبه اشتعل نارًا على فقيده، ولكنّ لا وقت للانهيار، هناك الكثير بحاجتي. كانت ترى غزّة أبناءها يقتلون واحدًا واحدًا، كانت ترى بيوتها تصبح رمادًا، وأطفالها طيورًا، حتى القبور خرجت من مكانها، لكنها لم تستسلم بقيت صامدة على عهدها ثابتة. ورثوا أبناءها القوة من أرضهم، ورثوا الشموخ والعزّة.

اليوم الثلاثمئة من الحرب.

كان الجوعُ يُحاصرُ غزةَ كما تُحاصرُها القنابل، لم يكن الجوعُ العادي، ذاك الذي يُسكَتُ برغيفِ خبزٍ أو بقليلٍ من الماء، بل كان جوعًا يُفتّتُ العظام، يُحني الظهور، يجعلُ الأمهاتِ يطهون الماءَ بالحجارةِ ليُوهموا أطفالَهنَّ أنَّ هناك طعامًا في القدر. في أحدِ الأزقةِ، كانت أمُّ فارس تجلسُ أمامَ موقدٍ صغير، تضعُ عليه إناءً فارغًا يغلي فيه الماءُ وحده، كانت ابنتها الصغيرة، سُهى، تحدّقُ في الإناءِ بعينينِ واسعتين، ثم تسألُ بصوتٍ مُرتجف:

– ماما، متى ينضجُ الطعام؟

ابتسمتْ أمُّ فارس ابتسامةً شاحبة، ومسحتْ على رأسِ ابنتها، وقالت:

= **قريبًا يا حبيبتي... اصبري قليلًا.**

لكنها كانت تعلمُ أنَّ الانتظارَ لن يُنبتَ الخبزَ من الأرض، ولن يُعيدَ الدقيقَ الذي فُقِد منذ أشهر. لم يكن النزوحُ في غزةَ مجرّدَ انتقالٍ من بيتٍ إلى آخر؛ بل كان موتًا متكررًا؛ كانت العائلاتُ تحملُ ما تبقّى من ذكرياتها في أكياسٍ بلاستيكية، وتُغادرُ منازلَها التي كَبُرت فيها، تاركةً خلفَها الجدرانَ التي احتضنتها لسنوات، متّجهةً إلى المجهولِ الّذي لا يحملُ سوى الخيامِ والبردِ والجوع.

حينَ وصلَ أبو أسامة مع عائلتهِ إلى مدرسةٍ تحوّلت إلى ملجأ، لم يكن هناك مكانٌ يتّسعُ لهم، كانت الغرفةُ التي دخلوها مكتظّةً بأكثرَ من خمسين شخصًا، بعضُهم ينامُ على الأرض، وبعضُهم يتّخذُ من الحقائبِ وسائد، وبعضُهم لم يعدْ يجدُ حتى زاويةً يتّكئُ عليها. نظرَ إلى زوجتهِ التي كانت تحملُ ابنتهما الصغيرة بين يديها، ثم قال بصوتٍ منهك:

– **أهذا هو الوطنُ الذي نقاتلُ من أجله؟**

لكنَّ العجوزَ الذي كان يجلسُ في زاويةِ الغرفةِ رفعَ رأسهُ، وقال بصوتٍ مُتهدّجٍ لكنه مليءٌ بالقوة:

= نعم، هذا هو.. لكنّه ليس كما يُريدون له أن يكون، نحنُ هنا لنُعيدَه كما كان.. بل أقوى.

في اليومِ الثلاثمئة وعشرَ من الحرب، الموتُ صارَ مألوفًا، استيقظَ أبو أسامة في منتصفِ الليل على صوتِ ابنهِ الصغير محمد وهو يصرخُ في الظلام، قفزَ من مكانهِ، وأشعلَ ضوءَ المصباحِ اليدويّ، ثم رأى محمد جالسًا في زاويةِ الغرفةِ، يُغطّي وجههُ بيديهِ، ويرتجفُ كما لو أنَّ البردَ اخترقَ عظامَه.

اقتربَ منهُ، وسألهُ بقلق:

– ما بكَ يا بني؟!

رفعَ محمد رأسهُ ببطء، كان وجههُ شاحبًا، وعيناهُ مليئتينِ بالدموع، ثم قال بصوتٍ مختنق:

= لقد رأيتُها.. رأيتُ جثتها في الحلمِ مرةً أخرى.. سُهى كانت هناك، تناديني، لكنّني لم أستطعْ إنقاذَها..

أغمضَ أبو أسامة عينيه، وأحسَّ أنَّ الألمَ صارَ أكبرَ من أن يُقال، كانت سهى، ابنة أخيه، قد قُتلتْ في قصفٍ قبل أسابيع،

ولم يبقَ منها سوى صورةٍ عالقةٍ في ذاكرةِ محمد، وقطعةِ قماشٍ من فستانها الأزرق الذي كانت ترتديه يومَ استشهدت.

مسحَ على رأسِ ابنه، وقال بصوتٍ مُتهدّج:

– هي لم تذهبْ بعيدًا يا محمد.. هي هنا، في قلبِك، في سماءِ غزة، في كلِّ ضوءٍ يسطعُ بعدَ العتمة.

كانت الأيامُ تمرّ ببطءٍ شديد، وأصبح الحزنُ ورائحة الموت هواءً تتنفسه غزة، كأنَّ الزمنَ نفسهُ يتثاقلُ تحت وطأةِ الألم، كان أهلُ غزة قد اعتادوا على أن يكونَ الصباحُ مُحملًا بالدمار، وأن يكونَ المساءُ مثقلًا بالفقدان. في الشوارعِ، كانت الجدرانُ مملوءةً بصورِ الشهداء، وفي الأسواقِ، كانت البضائعُ أقلَّ من أن تكفي الجميع، وفي البيوتِ، كان الناسُ يجلسونَ بصمتٍ، يُحصونَ الغائبينَ كما يُحصي التائهُ نجومَ الليل. لكنَّ غزةَ، رغمَ الجوعِ، رغمَ النزوح، رغمَ الموت... لم تركع. كانت الحياةُ تتسلّلُ من بين الركامِ كعُشبٍ ينمو بين الشقوق، كانت الأمهاتُ يخبزّن ما تبقّى من الطحينِ في أفرانٍ متهالكة، وكان الأطفالُ يلعبونَ بكُراتٍ مصنوعةٍ من الخِرَقِ، وكان الرجالُ يُصلّونَ في المساجدِ التي فقدت أسقفَها،

لكنَّها لم تفقدْ قُدسيتها. كانت غزةُ تنزفُ، لكنها كانت على قيدِ الحياة.

اليوم الأربعمائة وسبعون من الحرب.

كانت السماءُ لا تزالُ ملبّدةً بالدخان، والهواءُ يعبقُ برائحةِ البارود. في الأزقةِ الضيّقة، كان المقاتلونَ يتسلّلون بين الأنقاضِ، يترقّبونَ أيّ حركةٍ في الأفق، في الأنفاقِ، كانت الأجهزةُ اللاسلكيةُ تنقلُ الأوامرَ الأخيرة، وكأنّها تدركُ أنَّ هذه الساعاتِ هي الفاصلة.

على الجبهةِ الشرقية، كان أبو خالد يقفُ خلفَ جدارٍ نصفُه منهار، يراقبُ المدرّعاتِ التي تحاولُ التقدّم، ضغطَ على زرّ اللاسلكي، وقال بصوتٍ هادئٍ لكنه حاسم:

– **الكمائنُ جاهزة؟**

جاءه الصوتُ من الجهةِ الأخرى:

= **جاهزة، بانتظارِ الإشارة.**

رفعَ رأسهُ قليلًا، ثم همسَ بصوتٍ بالكادِ يُسمع:

"إلى الله، ثم إلى الوطن.."

دوى الانفجار الأول.

اهتزّت الأرضُ تحت أقدامِ الجنودِ المتقدّمين، انقلبت المدرّعةُ الأماميةُ رأسًا على عقب، ثم تبعها وابلٌ من النيرانِ التي خرجت من الأزقةِ كأنَّها لهبُ بركانٍ انتظرَ طويلًا لينفجر.

صرخَ أحدُ الجنودِ وهو يركضُ نحو اللاسلكي:

- إنّهم يحيطونَ بنا.. نحنُ محاصرون!

لكنّ الصراخَ لم يكن يُغيّر شيئًا، فالمعركةُ كانت قد حُسمت، لم تعُد هذه حربًا بين جيشٍ ومقاومة، بل كانت بين شعبٍ قررَ ألّا يموت، وبين عدوٍّ بدأَ يدركُ أنَّ هذه الأرضَ لا تُؤخذ. ثم حلّ الصمت.. كان الوقتُ عند منتصفِ الليل، حينَ وصلتِ الرسالةُ الأولى إلى القياداتِ الميدانية، لم تكن صياغتُها واضحةً تمامًا، لكنّها حملت معنى لم يُسمع منذ أكثر من عامٍ ونصف:

- المُحتلّ يطلبُ وقفًا لإطلاق النار.. بوساطةٍ دولية.

في الأنفاقِ، توقّفَ الجميعُ عن الحركةِ للحظة، نظرَ ياسرُ إلى قائده، ثم همسَ بشيءٍ من الذهول:

- هل.. انتهت؟

لكنَّ أبا خالد لم يُجِبْ فورًا، كان يعلمُ أنَّ الاحتلالَ لا يعترفُ بالهزيمةِ علنًا، لكنه يُدركُ متى يُجبرُ عليها، أغلقَ اللاسلكي، ثم

خرجَ إلى سطحِ الأرض، حيثُ كانت النيرانُ لا تزالُ مشتعلةً في الأطراف. أمسكَ بندقيته، رفعها نحو السماءِ، ثم أطلقَ ثلاثَ رصاصاتٍ متتابعة، لم تكن طلقاتِ حرب، بل كانت الطلقاتِ الأخيرة، طلقاتُ النصر. في الجهةِ الأخرى، كان أحدُ الجنودِ الذين بقوا داخلَ دبابتهِ يسمعُ الأخبارَ عبرَ جهازِهِ اللاسلكي، كان صوتهُ مرتجفًا وهو يهمسُ لرفاقهِ:

- سيوقفونَ الحرب.. نحنُ ننسحب.

لكنَّ الصوتَ الآخرَ ردَّ عليه بجملةٍ واحدةٍ فقط:

= بل نحنُ نهرب.

لم يكنَ الصباحُ قد حلَّ بعد، لكنَّ غزةَ لم تنَمْ في تلك الليلة، في الشوارعِ، خرجَ الناسُ رغمَ الركام، رغمَ الجراح، رغمَ الدمار، لم ينتظروا تأكيدَ الخبرِ من الشاشات، فقد رأوهُ بأعينهم:

جنودُ العدوّ ينسحبون.

وقفَ أبو محمد في السوقِ المُدمَّر، حدّقَ في الأزقةِ التي تحوّلت إلى أطلال، ثم التفتَ إلى ابنهِ، وقال بصوتٍ حملَ كلَّ تعبِ الحرب:

- ألم أقلْ لكَ إنّنا سنبقى؟

ابتسمَ محمد، ثم رفعَ رأسَهُ عاليًا، وقال بفخر:

= ونحنُ من جعلَهم يرحلون.

وعلى الجانب الآخر، هناكَ فرحٌ ناقص؛ إذ كان الشعب يتمنى أن يتلقى نبأ الهدنة عبر أصواتٍ ألف سماعها، أصوات الصحفيّين، الّذين اختطفهم الموت غدرًا، واغتالهم الاحتلال بوحشيّة لا تعرف الرحمة، كانوا كثر؛ إذ بلغ عددهم نحو مئةٍ وخمسةٍ وأربعين صحفيًّا، وليبكِ قلمي هنا بأحرفه، متحدثًا بعضًا منهم...

~ إسماعيلُ الغول: الصوتُ الذي قُصِف بعدَ الخبر لم يكن إسماعيلُ الغول مجرّدَ صحفيٍّ ينقلُ الأخبار، كانَ شاهدًا على المأساة، جزءًا منها، صانعًا لروايةِ غزةَ التي كُتبتْ بالدمِ والصوتِ والحقيقة، كان يقفُ أمام الكاميرا، يُمسكُ المايكروفون، ينقلُ صوتَ المدينةِ وهي تصرخُ تحت القصفِ، ويحملُ الحروفَ كما يحملُ المقاتلُ سلاحَه. في ذلك اليوم، كان وجهُه شاحبًا أكثرَ من المعتاد، كان صوتهُ يُخفي ارتجافًا لم يُلحظهُ إلا من يعرفُه جيدًا.

– استُشهدَ القائدُ إسماعيلُ هنية، وفقَ ما أكّدتهُ مصادرُ محليةٌ قبل قليل..

لم يُكملْ الجملة، كأنَّ الصدى كانَ أسرعَ منهُ إلى الآفاق، كأنَّ الحربَ قرّرتْ أن تُسكتَهُ قبلَ أن يُكملَ النبأ، كأنَّ الخبرَ الذي أعلنهُ لم يُرضِ الموت، فاختارَهُ ليكونَ العنوانَ التالي. بعد دقائق، سقطتِ القذيفة. احترقتِ المركبة، وتناثرتِ الأوراقُ التي كانَ يحملُها، لم يبقَ شيءٌ إلا الصوتُ الذي ظلَّ معلقًا بينَ الموجات، كأنَّهُ لم يُرِدْ أن يُصدّقَ أنَّ صاحبهُ قد رحل. أصبحَ الخبرُ الذي أعلنهُ هو ذاتُه الخبرُ الذي نُعيَ فيه.

~ أيمن: الولادةُ والموتُ في ذاتِ اليوم

كانَ أيمنُ يحلُمُ بهذهِ اللحظةِ منذُ زمن، أن يحملَ طفلَهُ بينَ يديه، أن يُسمّيه، أن ينظرَ إليهِ وهو يصرخُ صرخةَ الحياةِ الأولى. وفي يومِ ولادةِ ابنِه، كانَ ينتظرُ بفارغِ الصبرِ أن يسمعَ صوتَهُ للمرةِ الأولى، كانَ بينَ رفاقهِ فرحًا يبشرهم بأنّ زوجته سوف تنجب اليوم، يرتجف قلبُهُ فرحًا، رفعَ رأسَهُ إلى السماءِ، وكأنَّهُ يُخبرُ النجومَ بهذا النبأ، ابتسمَ، نظرَ إلى رفاقِه، ثم قالَ لهم بحماسٍ لم

يعهدوهُ فيهِ منذُ وقتٍ طويل:

"ابني قادم ها هو قادم.."

لكنَّ الموتَ كانَ أيضًا يُراقبُه.. في ذاتِ اليوم، لم يُمهلْهُ القصفُ حتى يرى ملامحَ وجهِ ابنه، لم يُعطهُ الفرصةَ حتى يسمعَ اسمهُ يُنادى بينَ الناسِ، لم يسمحْ لهُ حتى أنْ يُمسكَ يديه، ويُخبرَهُ أنّهُ سيكونُ أبًا حاضرًا، لا صورةً مُعلّقةً على الجدار. في ذاتِ اليومِ الذي وُلِدَ فيهِ ابنُه، ارتقى أيمنُ شهيدًا.

~ **أحمد أبو الروس:** حينَ ضحكَ الموتُ في وجهِ الحياة كان أحمدُ أبو الروس يبتسمُ في ذلك الصباح، يضحكُ كما لو أنَّ الحربَ قد انتهتْ فعلًا، كما لو أنَّ السماءَ قد محَتِ القصفَ من ذاكرتِها، كما لو أنَّ غزةَ كانت تستعدُّ لعُرسٍ وليس لوداعٍ جديد. كان يحملُ كاميرتهُ كما يفعلُ دائمًا، يوثّقُ اللحظاتِ الأخيرةَ قبل الهدنة، يحدّثُ متابعيه:

"بقيَتْ ساعاتٌ قليلةٌ فقط.. وسنسمعُ خبرَ وقفِ إطلاقِ النار."

كان يبتسمُ وهو يتحدث، كأنّه يرفضُ أن يُصدّقَ أنّ الحربَ يُمكن أن تخذلَه في اللحظةِ الأخيرة، بجانبهِ كان محمد، توأمه، النسخةُ الأخرى من روحه، ويحيى، الصديقُ الذي صارَ أخًا، كانوا ثلاثةً

قلوبٍ تنبضُ بالأملِ ذاته، بالحلمِ ذاته.. بالمصيرِ ذاته..
لكنَّ الموتَ كان يستمعُ أيضًا. لم يُمهلهم حتى تُعلنَ الهدنة، لم يُعطِهم فرصةً ليعيشوا يومًا واحدًا بلا قصف. انفجار.. توقّفتِ الكاميرا عن التصوير، احترقتِ المركبةُ التي كانت تحملُ أحلامَهم، تفرّقَ الدخانُ في الهواء، لكنّ أصواتَهم ظلّت معلّقةً في السماء، كأنّها ترفضُ أن تُمحى. خبرٌ كسرَ القلوب... في ذلك المساءِ الذي كان الجميعُ ينتظرُ أن يكونَ مختلفًا، انتشرَ الخبرُ كالنارِ في هشيمِ القلوبِ المنهكة. "استُشهدَ الصحفيُّ أحمدُ أبو الروس، معَ توأمهِ محمد وصديقِه يحيى، إثرَ قصفِ مركبتهم قبلَ ساعاتٍ من الهدنة." الذين كانوا يراقبونهُ قبلَ لحظاتٍ وهو يبتسم، لم يُصدّقوا، كأنّ شيئًا في عقولِهم رفضَ قبولَ الفكرة، كأنّ الزمنَ قد اختلَّ للحظةٍ، فصارَ الموتُ أقربَ من الحياةِ، وصارتِ الابتسامةُ فخًّا صنعتهُ الحرب. لكنّ غزةَ لم تتفاجأ.. غزةُ تعرفُ أنّ الموتَ يأتي دومًا حينَ يظنُّ الناسُ أنّهم نجوا، غزةُ تعرفُ أنّ الحربَ تسرقُ أجملَ ما فيها قبلَ أن ترحل، كي تُذكّرهم أنّ الفقدَ فيها ليس استثناءً، بل هو القاعدة. في اليومِ التالي، لم يكن أحمدُ

هناك ليُخبرَ الناسَ عن الهدنة، لم يكن هناك ليحملَ الكاميرا، ليُحدّثَ العالمَ عن غزة، ليضحكَ وسطَ الدمار. لكنّ كاميرتهُ كانت هناك، محطّمةً بين الركام، عدستُها مكسورة، لكنّها لا تزالُ تشيرُ نحوَ السماء.

وكأنّها تُوثّقُ المشهدَ الأخير:

"هنا كانت الحربُ... وهنا كان أحمدُ يبتسم."

في غزة، لم يكُنِ الموتُ زائرًا نادرًا، بل كانَ جزءًا من الجدولِ اليوميّ، جزءًا من النشرةِ الإخبارية، جزءًا من الذاكرةِ التي لا تنام، لكنّها؛ رغمَ كلِّ شيء، ظلّت تُنجبُ الحياةَ في أكثرِ الأيامِ سوادًا، كأنّها تُخبرُ العالمَ بأنَّها ستبقى. وأنَّ كلَّ راحلٍ، سيبقى صوتهُ يتردّدُ في الأرجاءِ، لن يموتَ، بل سيعيشُ فيمن خلفوهُ وراءهم. لم تكن غزةُ مدينةً عادية، ولم يكن انتصارُها كأي انتصار، كانت تُعيدُ بناء نفسها كما يُعيدُ البحرُ تشكيلَ شواطئه بعد العاصفة، وكما يُعيدُ النهرُ شقَّ مجراه بين الصخور مهما بدت صلبة.

كان الرجالُ يرفعون الحجارةَ المتناثرة، يُنظّفون الشوارعَ بأيديهم، بلا معدات، بلا مساعدةٍ دولية، بلا شيءٍ سوى الإرادةِ التي لا تُقهر، كانت النساءُ يجمعن ما تبقّى من المنازلِ المهدّمة، يبحثنَ

عن صورٍ قديمة، عن قطعِ أثاثٍ مُتناثرة، عن ذاكرةٍ لم يقدر القصفُ على محوها. وفي إحدى الساحاتِ، وقفَ ياسرُ يحدّقُ في الأرضِ حيثُ كان بيتُه. لم يبقَ منه شيءٌ سوى بعضِ الجدرانِ المُتفحّمة، لكنّه لم يشعر بالضعف، نظر إلى والدتهِ التي كانت تمسحُ الترابَ عن صورةِ أبيه الشهيد، ثم قال بصوتٍ مُتهدّج لكنه قوي:

– سنبني كلّ شيءٍ من جديد يا أمي، أقسمُ لكِ.

نظرت إليه والدته، ثم وضعت يدها على كتفه، وقالت:

= بل سنبني ما هو أقوى... غزةُ لا تعودُ كما كانت، بل تصيرُ أعظم.

على جدارٍ مُنهار، كان طفلٌ صغيرٌ يحملُ علبةَ طلاءٍ قديمة، يُخطّ بأصابعهِ الصغيرةِ كلماتٍ لم يستطع الجنودُ أن يمحوها:

"نحنُ هنا"،

مرّ بجانبه أحدُ المقاتلين، توقّفَ للحظةٍ وهو يُراقبُ الحروفَ التي كُتبتْ على الجدارِ الأسود، ثم ابتسم، لم يكن الطفلُ يعرفُ أن ما فعلهُ كان أكثرَ أهميةً من ألفِ خطابٍ سياسيّ، لكنّه كان يدركُ شيئًا واحدًا: غزةُ لا تموت. كان أبو خالد يجلسُ في غرفةٍ صغيرة،

يحدّقُ في الخريطةِ المُعلّقةِ على الجدار، لم يعُد القائدُ الذي يُخطّطُ للهجوم، بل صار الرجلَ الذي يُفكّرُ في المستقبل.

دخلَ عليه أحدُ المقاتلين، وقال:

– الناسُ يسألون: ماذا بعد؟

لم يُجِبْ أبو خالد فورًا، نهض، مشى نحو النافذةِ التي تُطلُّ على المدينةِ التي بدأت تنهضُ من تحتِ الرماد، ثم قال بهدوء:

= نُعيدُ البناء.. ونُعلّمُ أطفالَنا كيف يُمسكون القلمَ كما يُمسكون البندقية.

في مساءِ اليومِ الأربعين بعد النصر، اجتمعَ أهلُ غزة على الشاطئ، حيث ظلَّ البحرُ صامتًا طوالَ الحرب، يبتلعُ الأسرارَ ويُخفي الدموع. أشعلَ الأطفالُ الفوانيس، ألقوها في الماء، فصارت أمواجُ البحرِ تحملُ أضواءً صغيرة، كأنّها نجومٌ هربت من السماء لتسبحَ في الموج. وقفَ ياسرُ هناك، بجانبِ أصدقائه، يُراقبُ الأضواءَ وهي تبتعد، ثم قال:

– أتعلمون؟.. أشعرُ أن كلَّ فانوسٍ منها يحملُ روحَ شهيدٍ رحلَ لكنه لم يغادرنا.

ابتسمَ أحدُ المقاتلين، ثم قال:

= بل يحملُ رسالةً للعالم: نحنُ هنا... وسنبقى.

لم يكن النصرُ مجردَ نهايةِ معركة، بل كان بدايةً جديدة، في كلِّ شارع، كانت هناك قصةٌ تُروى، وفي كلِّ زاويةٍ كان هناك وعدٌ بالصمود. كانت غزةُ تُعيدُ رسمَ ملامحِها، لا كما أرادَ لها الأعداء، بل كما أرادَ لها أبناؤها، كانت المدينةُ الّتي قاومت، والتي نزفت، والّتي احترقت، والّتي وقفت وحدها، تعودُ للحياةِ من جديد، وتُعلّمُ العالمَ كله درسًا لن ينساه:

"هنا غزة... وهنا تبدأُ الحكاية."

هكذا تُكتبُ غزةُ، وهكذا تنتصرُ، وهكذا تُعلّمُ التاريخَ كيف يكونُ الصمودُ أعظمَ من الحرب، وكيف يكونُ الشعبُ أكبرَ من الاحتلال، وكيف يكونُ الوطنُ خالدًا رغمَ كلِّ الخراب. هذه ليست روايةً فقط، بل شهادةٌ للتاريخ... غزةُ لم تسقط، غزةُ انتصرت.

•‹(ساجدة محمد العزام)›•

لا تدري

لا تدري بعدَ خروجِها من مواقف أطفئتها وشعرت حينها بالهزيمة، كانت تستيقظ من جديد وكأن الانطفاء لا يليقُ بِها. كانت من أكثر مراحلِها المُتعبة، كانت تُرهقُ بِها وتشعر أنها نهاية كُلّ شيء كمرحلةِ من مراحلها الدراسية ومواقف عدة، كخذلانِها من أصدقاءٍ وأحباء وأشخاص وصدمات وكدمات كأنها نهاية الحدث! كانت كتومة بطبعِها.. لا تتحدثُ عَمّا يمزقُ ثنايا روحها، لا تشارك ما يحدثُ معها في حياتِها مع أحد، هل كانت لا تثق؟ أم لم تجد المُستمع الكفء الّذي لا يخون مهما أودت به الحياة؟ لا يعيب ولا يذكرها بالمنغصات التي مرّت بها؟ كانَ صمتُها يحرقُها ولكنها تعلّمت كيف تُطفئ نارها بنفسِها وداوت جروحها وآلامها بنفسِها، لم تنتظر مساعدة من أحد لأنها أيقنت أن انتظارها لم يأتِ بالنتيجةٍ التي لطالما تمنتها، ولرُبما كانَ هذا أفضل شيء حصل معها أنها عادت لنفسِها ولكنها لم تعد كما كانت أصبحت مشوهة ومجروحة، بقيَّ في داخلِها آثار الرّماد الّذي دمرها... كادت تُجن من فرطِ ما شعرت به ومن كثرةِ التّفكير...

وحينها، اتخذت القرار لطالما كانَ من أصعب القرارات التي اتخذتها قامت بإطفاءِ قلبِها ومشاعرها وأصبحت تتصرف بعقلِها الواعي والمنطقي أهملت كل ما يتفوه به قلبها.

أدركت بعدَ ذَلِكَ أنَّ مشاعرها هيَ السّبب في انطفائها، وطيبة قلبها هيَّ التي أودت بها للهاوية.

قامت بِكيّ جروحِها وتشوهات ثنايا روحها بنفسِها، وقررت من ذَلِكَ اليوم أن تبتر كُلّ شيء يدمرها ويعيدها لنقطة البداية، قتلت كُلّ ما بداخلِها من مشاعرٍ وإحساس وحتى لطافة، وأيقنت أن هذا القتل الّذي أحياها واتكئت على عقلِها فقط، نهضت ونفضّت ورمت كُلّ شيء جانبًا، أرجعت ثقتها بنفسها وقاتلت، تألمت لتصل لهذا الاستقرار ولكن هذه الطّريقة الوحيدة.

لا يهم مهما تألمنا وتعثرنا وسقطنا، العبرة لمن يكمل ويحارب ليصل للنّهاية ليستلذ بالانتصار العظيم.

•›⟨ ضحى نظمي عزام ⟩‹•

قمرٌ بائس

في أحد ليالي الشتاء الباردة، فتاة بكت حتى ابتلت وسادتها من الدموع شهقت ونامت دون أن تعلم، ولكن قبل تلك الحرب التي حدثت في فراشها وعلى وسادتها حدثت حرب بينها وبين من يسموا أهلها...

ماذا!!

ليس كل من يترك آثار وعلامات وندوب على جسد طفلة بريئة قد يكون أهلًا، أيًا كان ما فعلته أو بعثرته او حتى كسرته، أولئك هل هم بأهل؟! لا أهلًا للثقة ولا لرعاية روح لطيفة.

امٌ وابٌ غفوّا على بكاءِ طفلتهم فتاتهم الصغيرة، ناموا وفي قلوبهم كل معاني القسوة وعدم الرحمة.

بربكم، ماذا قد يجعل من طفلة جميلة الروح والمظهر الى طفلة مليئة بالندوب والخربشات في جسدها ممزقه الروح؛ غير أبٍ وأمٍ نزعوا ثقة وامانًا زرعته الطفلة فيها وبداخلها تجاههم، ليس لها

غيرهم عاشت وتربت في كنفهم، ماذا تنتظر من العالم الموحش في الخارج اذا كان العالم الذي عاشت وتربت فيه هكذا.

مضت تلك الليلة بجروحها، كانت تلك الطفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها سبعة أعوام، ولكن بعد تلك الليلة ملكَ الخوف جوفها، أصبحت تهرع من كل صغيرة وكبيرة.

طفلة ذكية فطنة، لا تعرف للكل ولا للملل عنوان تحب المعرفة والاطلاع، كانت مبدعة بالرسم مقارنه بأقرانها؛ ولكن ما باليد حيلة ليت لأهلها عين ترى فيها جمال وبراعة ومواهب ابنتهم.

تكبر تلك الفتاة ويكبر معها حزنها وألمها، فلم تكن الحرب مع من يسموا أهلها اخر حرب، فقد مرّ أعوام وما زالت تتصارع الفتاة مع أفكارها وأهلها وآلامها.

تكبر الفتاة ويكبر معها طموحًا وأحلامًا سعت إليها، قد تمنت لو من أحد يراها ويرى موهبة من مواهبها ويعتني بها لتصبح شيئًا عظيمًا، ونعم ما باليد حيله لا ترى من اهلها غير دموع وآهات.

أصبحت تلك الفتاة كبيرة بما يكفي لتعلم أن ليس كل ما يجوهُ المرءُ يستطيعُ الحصولَ عليه.

قمرٌ؛ نعم قمرٌ اضاء في وسط ظلام موحش، قمرٌ جميلُ المظهر قلبًا وقالبًا.

اسمها قمر، اسمٌ على مسمى، ما ذنب تلك الفتاة الجميلة أن تعيشَ في تلك القسوة والحقدِ وعدم الامان، ما ذنبها أن لا تجد حبًا وعطفًا واهتمام من داخل منزلها من امها واباها؛ لا ترجو سوى حضنٍ دافئٍ يحتويها ويدًا ترعاها، ليس لتلك الفتاة سبيلًا إلا للبحث عنه، وبالفعل لم تكن الفتاه تؤمن بالحب ولا بوجوده؛ لما ما تراه من أباها وأمها من مشاجرات وقسوة عليها وعلى اخوتها.

ذات يوم كانت خارجة من منزلها المشؤوم، لترى شابًا لمعت عيناها عند رؤيته، نظرَ لها بدهشه وتدفق قلبه عند طلتها عليه. شاب وسيم مظهر في عيناه غابة من الرموش التي جعلت لهم جمالا خلاب، عسليتان اللون لامعتان في ضوء الشمس، سحرٌ قد تملكهما.

تمر كل صباح على شوق لترى ذلك الشاب وهو يقف تحت إحدى الأشجار التي زادت جمالًا من وقوفهِ تحتها، تمر وتراه ويراها دون اي كلام، فعينهما تتحدث دون نطق أي حرف.

مضت الأيام بحلوها ومرها وما تزال الفتاه تتصارع مع أهلها؛ ولكن في بالها شاب قد شغلها.

وفي إحدى الأيام تجرأ الشاب وسار خلف تلك الفتاة، كان يوم الثلاثاء كانت الساعة السابعة وعشرُ دقائق، سار خلفها وسألها عن اسمها، قالت بخجل: اسمي قمر، قال لها: اسم على مسمى، ما اجملك!

عرف بنفسه وقال: اسمي ريّان، تنهد قائلًا عندما رأيتك رقص قلبي لا اعلم ماذا حدث لي، معجزه انت ام ماذا؟

ابتسمت ولم تقل أيَّ شيء، ثم قال لها أريد التحدث معك والقرب منك، وأعطاها اسمه على إحدى مواقع التواصل، وهي حافظته في عقلها، وقال مودعًا: في أمان الله يا قمري وذهب، لم تعلم قمر ماذا تفعل؟!

كتبت اسمه على الخاص بإحدى المواقع على ورقة؛ ولكنها لم تضفه أبدًا أصبحت تراه صباحًا وتنظر لتلك الورقة مساءً، نفذ صبرها وزاد شوقها وأضافته؛ ولكن لم تضيفه من حسابها الرسمي الخاص بها، بل أنشأت حسابًا جديدًا لذلك وأضافته، وقالت: مرحبًا انا قمر. لم تتسنى الرسالة ثوانٍ معدودة إلى أن رد ريّان

قائلًا: أهلًا بك يا قمري، قال لها أنا أريد القرب منك، قالت له: لا أقدر ولكني أعجبت بك ولا أقدر على عدم رؤيتك، قال لها: لماذا لا تقدرين؟ فكرت قليلًا ،وقالت في داخلها: لا استطيع أن أبوح له عن أسرار أهلي وعن الظلم الذي أعيش فيه، صحت من أفكارها، وقالت له: لا أقدر فقط.

وقامت بحظر ريّان عن ذلك الحساب وبداخلها خوفٌ كبير أن يكتشفوا أهلها عما تفعله وشوقٌ لريّان وحنين، فقد أحست أن فيه الحب والعاطفة والاهتمام الذي تتمناه.

مرت الايام وأصبحت لا ترى ريّان يوميًا تراه يومًا ويغيبُ يومًا أو أكثر، كانت بمثابة نظرة ولكن تطمئنها، وهو يزيد شوقه لها ويتمنى رؤيتها، ولكن عمله يحكم عليه الغياب، وكان ريّان معه مضى الوقت والساعات وهي في حرب مع أهلها يوميًا من ضربٍ وشتمٍ وإهانة، وفي داخلها تقول إلى متى؟

أنا أصبحت كبيرة إلى متى سيتم معاملتي هكذا؟

انا في هذا البيت كخادمة لا أحد يحنّ ويعطف علي، تنام كل ليلة ووسادتها تمتلئ بالدموع وتفكر الى متى؟

ذات ليلة وهي تفكر مع وحدتها خطر في بالها ريّان الذي لا يغيب عن قلبها في الشوق، أخرجت الورقة التي كتبت عليها اسمه الخاص بموقع التواصل، نظرت لها وهي في حيرة من أمرها أن ترسل له أم لا، تشجعت وأرسلت له مرحبًا، وأيضًا لم تمكثِ الرسالة في المحادثة ثوانٍ، ورد الريان قائلًا: أهلًا يا قمري، قالت له: أريد التحدث معك، قال لها: تفضلي، قالت له بتردد عن اهلها وعن سبب عدم مقدرتها للحديث معه، كان يسمعها ريّان وهو في قمة الاهتمام لموضوعها، انتهت من حديثها، وقال لها: انا أريدك وأريد القرب منك حلالًا ولا أنوي مضرة لك وانا لا يهمني أهلك ولا أسلوبهم ولا مضرتهم ما يهمني انت فقط، واعدك ان تكوني لي قريبًا وأعوضك عن كل وجع وألم عشتهِ من قبل. قالت له وهي خجولة : أنّ لا أحد في الكون قال لها هذا الكلام ولم تحس بشعور الحب والاعجاب والاهتمام إلا اتجاهك، قال لها: حماك الله يا قمري، قومي بحظر حسابي هنا لأني لا أريد أي مضرة لك؛ وبالفعل قامت قمر بذلك.

مضت أيام ثقال على قمر وهي تنتظر ريّان للقدوم لخطبتها، وجاء ذلك اليوم الموعود وهي في كامل الحماس، أتى معه والديه وقابلوا أهلها بكل ود واحترام.

أحس الاب والام من لهفتها عليه أنها قد تعرفه مسبقًا وبعد ذهاب ريّان ووالديه الذين قاموا بطلب قمر لابنهم، قام الاب بسؤال قمر: هل تعرفي ريّان من قبل، توترت قمر وقالت بداخلها: من أين سيعرف أني قد أعرف ريّان من قبل؟ أيعقل أن ريّان قال شيئا آنذاك؟ صحت من أفكارها على صوت أباها قائلًا: ماذا انت تعرفيه؟ أجابت قمر ومن أين لي أن أعرفه! لا لا لم اراه من قبل.

أحست قمر بضيق في صدرها لأنها كذبت على والدها؛ ولكن هو نظر لها نظرة عدم تصديق وتكذيب لها ولأقوالها.

بعد ساعة من حديثه مع قمر أتى غاضبًا بمجرد أنه ظل يفكر أنها قد تعرفه، وقام بضربها وشتمها وإهانتها وكلها دون أي دليل على أنها قد تعرفه؛ ولكن كانت بمجرد أحاسيس، خافت قمر من رد فعل والدها وحست أن ريّان قال شيئا ما لوالديها ولكن هو يعرف آذانهم لي وماذا سيفعلون.

قامت لتتأكد من ريّان أرسلت له قائلة: مرحبًا هل قمت بإخبار أهلي عن معرفتي السابقة بك، قال لها: اهلًا لم أخبره شيئًا، ولكن ماذا حدث؟

بكت قمر لمجرد أن أباها ضربها دون أن يكون متأكدًا، أخبرت ريّان بما حدث، وقال لها: لا تحزني ولا تبكي سأبقى معك وأعدك عن هذه المآسي والآلام، مسحت دموعها وذهبت لتنام، وهي في فراشها تفكر وتدور أفكارٌ كثيرة في عقلها، وتقول في جوفها أصبحت كل مخاوفي في هذه الحياة أهلي والحياه البائسة التي أعيشها معهم، ما بال الحزن يرافق دربي ولا يتسع للقليل من الفرح والاطمئنان.

نامت قمر وأفكار كثيرة عالقة في رأسها، استيقظت من نومها لتعلم أن أباها رفض ريّان رفضًا قطعيًا، وأنه لا يريد رؤية ملامح وجهه بعد الان، بكت قمر ولم تظهر لوالديها ذلك، بكت حسرة على أحلام وآمال بنتها مع ريّان الذي أحبها بصدق، خافت قمر أن ترسل لريّان ويعاتبها على رفض أباها له.

مر أسبوع من قلة النوم والأكل على قمر، مر بهواجس واوجاعٍ لم تقدر عليها، فهي خسرت طوق نجاتها وأمانها وحبها البريء الصادق، خسرت ريّان؛ وكل ذلك برفض أبٍ قاهرٍ متجبر.

يوم الخميس من نهاية الأسبوع تجلس قمر لتتأمل وتخربش بعض الخربشات التي لم تحظى باهتمام منذ الصغر، ورغم أنها خربشات ولكنها جميلة، قطع تركيز قمر من رسوماتها المهملة، قرعُ جرسٍ وفتحُ بابٍ من قبل والدها.

من في الباب هل تدرون؟

إنه ريّان أتى مره اخرى لطلب قمر من والدها، ورحل من بيتهم محملا برفض من والدها وأنه لم يزوجه إياها أبدًا. حسرة أخرى تتملك قلب قمر؛ ولكن ريّان لم يستسلم فقد أراد قمر بقلب صادق وحب صادق، أرسل كبار أقاربه لطلبها، وبقيّ ابوها يرفض بلا أيّة مفاوضات او حتى نقاشات.

ويّلي على قلوبهم تتدفق نبضة بالشوق ونبضة بالحسرة والخوف، صلّت قمر ودعت رب العباد مدبر الأكوان، وأباحت كل ما في قلبها على سجادة صلاتها وأنهت بدعائها ربي لما انزلت لي من خير فقير.

نامت قمر وهي ترجو من الله العون، كانت آخر محاولة لريّان قبل ثلاثة أسابيع، أيعقل أنه استسلم؟

استيقظت من نومها لتزف عليها اختها الكبرى خبر موافقة والده على ريّان وأنه قد اتصل به وأخبره أيضًا بذلك.

لم تكن تصدق قمر ماذا حدث وكيف لم تصدق، وقالت: هل انا غارقه في حلم من احلامي وإن كان حلم لا توقظوني، أخبرتها أختها أنها الحقيقة وليس هناك أيّ أحلام، فرحت ونسيت كل دموعها التي بللت وسادتها يوميّا. وسألت قمر أختها عن كيفية موافقة والدي على ريّان، قالت لها: أتيت في الصباح أنا وزوجي وأخبرني والدي عن كل ما حدث في الفترة الماضية، وأنا التمست بريّان الحب وعدم الاستسلام وأنه يريدك بالفعل.

وقمنا بالتحدث مع والدي أنا وزوجي وأقنعناه، وهذا هو خبري زففته عليك الآن، ليس لي أيّة مكافأة هنا أو هناك، قامت قمر وحضنت أختها وقبلتها كثيرًا. عجبًا له رفض كبار وشيوخ أقارب ريّان وبمجرد إقناع ابنته الكبرى وزوجها وافق قد يكون السر في الأسلوب والأشخاص المهم الآن أنه وافق.

مرّ اليوم وهي في قمةِ سعادتها، وأرسلت لريّان وقالت: مبروك على الموافقة والحمد لله هذا من فضل ربي، أرسل ريان قائلا مبروك لي ولقمري، الحمد لله دعوته واستجاب لي.

واكمل الحديث مع بعضهم وناموا وهم في قمه فرحهم، كانت أول مرة تحس في حفلة ترقص في داخلها، أتى اليوم المنتظر كانت قمر في قمة جمالها، ما شاء الله تتعالى من الحضور.

كانت قمرًا مضيئًا وريّان مسحورٌ بجمالها، وهو أيضًا كان جميلًا يليقان ببعضهما حتمًا. كانت خطبة عائلية سعيدة وجميلة انتهت بفرحة لقمر وريّان. تمر أيام الخطوبة سريعًا فقد كان ريّان يريدُ قمرًا في بيته حلالًا له في أسرع وقت.

تمر الايام ولم يبقَ سوى أسبوعين ليوم الزفاف والفرحة الكبرى، وفي ذلك اليوم اتصلت قمر على ريّان لتطمئن عليه وتسأله عن التجهيزات الاخيرة، اتصلت وما من أحد يرد زعمت أنه قد يكون منشغلًا، مضى القليل من الوقت عاودت الاتصال به مجددًا ولم يرد أحد اتصلت مرة تلو الأخرى، تفجر الهاتف من كثرة الاتصالات عدم المجابه اعتلى الخوف داخلها وقلقت قلقًا شديدًا، فكرت بالاتصال على والدة ريّان وقامت بذلك بالفعل وقالت لها

أمه: أنه لم يتصل عليها اليوم ولكن ماذا حدث؟ قالت قمر: لا تقلقي يا خالة فقد اسأل عنه فقط لأني اتصلت به ولم يجيب لعله منشغل في أمرٍ ما.

أغلقت الهاتف مع والدته والخوف يزداد في نبض قلبها، فإنه لم يعتد عدم الرد والاجابة على اتصالاتها، وقالت: حماك الله يا ريّان. وأخيرًا اتصل ريّان، قالت قمر: الو ريّان أين أنت؟ قال: الو... وصدمة ظهرت في ملامح وجه قمر أنه صوت رجلٍ غريب، قالت: الو ريّان لتتأكد من ما تسمعه، قال الرجل بصوت حزين: رحم الله روحًا ذهبت الى الله وانا لله وانا اليه راجعون، قالت بصوت يتعالى صدمة: ماذا تقول؟ مات ريّان! هل مات أخبرني مات ريّان؟ قال الرجل: نعم عظم الله أجرك، تبكي وتقول له كيف وماذا حدث زواجنا بعد أسبوعين أخبرني ماذا حدث، قال الرجل: حادث مروع أودى به للموت.

أغلقت الهاتف وبكت بكاء تدمع العيون عند رؤيته، وأصبحت ندباتها تتعالى وتبكي بحرقة وتقول: مات وعرسنا بعد أسبوعين رحمك الله يا روحي، كيف تموت وأنت قلت أنك ستعوضني عن آلامي وآهاتي، كيف وأنا أحلامي كلها معك، لماذا؟

كانت امها بجانبها تهدئ من روعها وتقول لها انه لا يجوز أن تقولِ هذا الكلام؛ الدعاء له أفضل من كل شيء قولي إنا لله وإنا اليه راجعون هذه سنه الحياة.

تبكي وتبكي وتقول: **إنّا لله وإنّا اليه راجعون.**

مرت أيام عزائه أيام ثقال وتبكي وتدعو له بالرحمة قبل نومها كل ليلة تفكر به وبكلامه لها وأنه سيعوضها عن كل شيء، وعن الحرب الذي لم يستسلموا بها للوصول لها، تفكر بتلك الحياة البائسة التي تعيشها وأن بالفعل ليس للسعادة حيز فيها، خوفها من أهلها الذي كان يعتريها تغلب عليه خوفها من أن تسعد وتضحك في تلك الحياة البائسة والبالية.

تمر الأيام والليالي وهي لا تأكل ولا تشرب إلا قليلًا، مرت السنوات وفي كل ذكرى وفاة لريّان تبكي للصباح تبكي دون توقف، أصبحت شاحبة العينين والوجه سكن الظلام تحت عيونها حتى عيونها أصبحت بالية الروح نحيفة الجسد لو رأيتها من قبل ورأيتها بعد وفاة ريّان لم تعرفها.

انطفئ القمر وانطفأت روحها وأصبحت جسدًا بلا روح تبكي وتبكي وليس لها رفيق سوى البكاء تبكي ليلًا ونهارًا، وتدعو الله أن يرحم ريّان ويرحم روحها التي تعلقت به.

مرة ثلاث سنوات على وفاة ريّان، وفي ذكرى وفاته الرابعة بعد معركتها مع البكاء نامت قمر واستيقظت صباح اليوم التالي وتشعر بشيء غريب لا تعلم ما هو، رغم ضجيج الحياة والألم إلا أن أختها في كل مره تحاول إسعادها وإخراجها من لياليها الحزينة، خرجت هي وأختها الكبرى في هذا اليوم التسوق وعند قرابة انتهائهم من التسوق لمح شاب قمر من بعيد فاقترب منها وسلم عليها "السلام عليكم"، نظرت له قمر هي وأختها وبتعجب واستغراب بمعنى من انت؟ وكأن الشاب قرأ ما يدور داخلهما، وقال أنا خالد، كان موجهًا كلامه لقمر رأيتك وأعجبت بك ولا أريد منك الا رقم هاتف والدك والتعرف عليك، أدارت وجهها وذهبت قمر ولم يعجبها الكلام، فهي تحيا على ذكرى تعجب الشاب وأخبرته أختها بقصة قمر، حزن كثيرًا عليها وقال بمثل تلك الفتاة جميلة كل هذا الألم، ولكنه بقي مُصرًا على أنه يريد قمر فقد أعجب بها، وللفعل أخذ رقم والدها من أختها وأراد القدوم إليها.

مرّ يومان وإذ بخالد يطرق الباب هو ووالديه، وتحدث لدى والدها وطلب قمر منه، وكانت قمر في غرفتها لا تريد شيئًا غير البكاء.

لم يعترض أبوها وقال له: دعونا نسألها أولًا، رحل خالد وهو متعلق بأن توافق قمر.

ذهب أبوها لغرفتها وسألها أنه قد جاء شاب اسمه خالد لطلبك وما رأيك قالت له: لا ولن أقبل بأي أحد يأتي أريد ريّان فقط.

قام أبوها بضربها وقال لها: ستوافقين بالإكراه إن لم يكن بالرضا، وخرج من غرفتها بكت قمر كثيرًا فهي اعتادت الرفض دون الضرب في كل مره يضربها أبوها أو حتى أمها، كانت تتمنى الموت ولكن لن تعتاد وفي خاطرها ريّان فقط.

بعد ذلك بيومين اتصل والد قمر على خالد ليزف له موافقة ابنته، فرِحَ خالد بالخبر، وقاموا بتحديد موعد الخطبة.

تمت الخطبة بحمد الله وحزنِ وقهرِ قمر، لم تكن متقبلة الأمر بأي شكل من الأشكال.

وخلال فترة الخطبة كانت تقوم بصد خالد عنها ولا تتكلم معه ولا تتصل به، وهو يعرف لماذا تقوم بذلك.

كان يقوم بسؤال اختها عن كل ما تحبه قمر ويجلبه لها فقط لإسعادها، أحس أن من واجبه إسعادها وجبر خاطرها.

فقد أحبها بصدق رغم كل شيء رق قلبها عليه ولكنها لم تتقبله بعد.

تمر الأيام وتحس بقربه فرحًا غامر لم تشعر به منذ سنوات طويلة، وفي إحدى الأيام غفت قمر في فراشها لترى منامًا كان فيه ريّان يقول لها وينادي باسمها يا قمري يا قمري عفا الله عما مضى كوني سعيدة لأجلي لا تجعلي من وجهك الجميل كومة من الأحزان والآلام كوني سعيدة، تصحي من غفوتها لترى أنها كانت قد ولم تصدق أنها قد حلمت بريّان، أرادت فقط أن تلبي ما طلبه منها.

تمر الأيام ويقوم خالد بتحديد موعد الزفاف تشعر قمر آنذاك بفرحة كبيرة لم تشعر بها من قبل سجدت على سجادة صلاتها شاكرة ربها على ما أتاها من جبر للخاطر وعلى تخطيها لجميع تلك المخاوف التي حدثت معها، سواء أكان ذلك من أهلها أم من وفاة وفراق ريّان.

مرّ الزفاف بحلوه وتمرُ معه سنوات الفرحِ والسعادة مع زوجها وأولادها. عوضها الله وسندها عن تلك الايام، الحمد لله يا ربي جبرت خاطري وقلبي، حمدًا لله عوضتني عن مرارة أيامي وقسوتها، حمدًا لله تخطيت خوفي وابتعدت عنها، حمدًا لله .

هذا ما تقوله قمر كل ليلة قبل نومها..

•‹﴿ راما اسماعيل أبو شامة ﴾›•

الخاتمة

حين بدأت هذه الصّفحات بالخَلق، حتى ظهورِها بين يديك وهيَ تشكو من قلبِ أُنثى، بمُطلق حيرة.. بمُطلقِ عبثٍ مؤكد، تنظرُ للمرآةِ وعينيها لا تكفُ عن السُّؤال، وروحُها تشتكي من قلةِ الوجود! تستهدفُ صدّرِها بالجموح، تُناشد آخر أمل لها أن يعود، تُناشد ذاتها، تُنادي آخر ما تبقى منها والّذي أقسم بالرّحيل! الخوف يغلفُها ويُنسيها من تكون، نَسيتْ كُلّ شيء وكُلّ الأشياء برمتِها مُرجحة للنّسيانِ، إلا شعور أن تخاف.. أن تبكي.. أن تجلس على الحافةِ تُراقب المُغادرون، الّذين سُلبت أرواحهم عنوة، إلى السّماء، حيثُ النّجوم، حيثُ الأماني والأحلام، فلقد ضلّت الطّريق وحارت بها السُّبُل فأين النّجاة؟ ظلّت ترقدُ في محضِ خوف، من **الضّحى** حتى **ختام** الغداة، ظلّت تُهرولُ بغموضٍ ويمتطيها دهرًا من العُمرِ المُخيف، الّذي يُفنى عبثًا بموجبِ هذا التّيه! فانتفضت الرّوح وعادت للجسد، قاتلت من نقطةِ لقائها بذاتِها وتقدّمت، فاستثارت بشعورِها بالنّصر؛ **فتبارك** هذا الشّعور بدمعةٍ، خشعت فراحت لربّها **ساجدة**.

•‹(إيمان السكارنه)›•